


# الغاية المنشودة والدرة المفقودة

جمع وترتيب

أحمد فريد

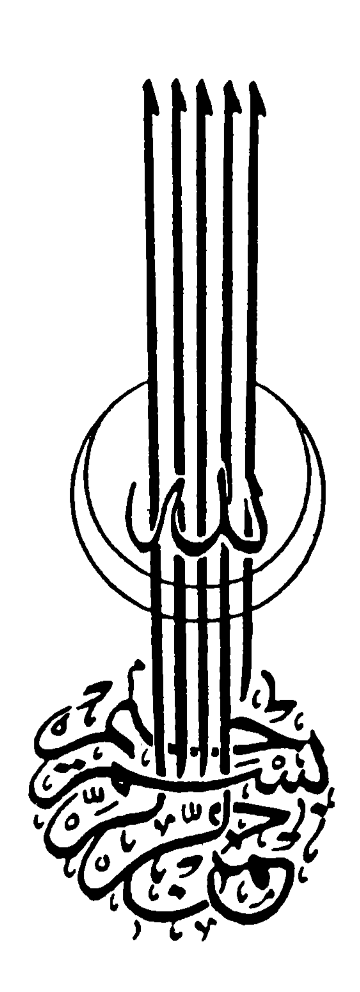
الطبعة الأولى

١٤١٤هـ - ١٩٩٣م

الناشــر :

دار الصميعي للنشر والتوزيع

هاتف ٤٢٦٢٩٤٥ - ص.ب ٤٩٦٧ الرياض ١١٤١٢



## □ مقدمة □

إن الحمد لله ، نحمد ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ حَقَّ تُقَاتِه ولَا تَمُوتُنَّ إلَّا وَأَنتُم مُسْلِمُونَ ﴾ [ آل عمران : ١٠٢ ]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا ربَّكُمُ الَّذِى خلَقَكُم مِن نَّفْسٍ وَاحِدةٍ وَخلَقَ مِنهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءًا وَاتَّقُوا اللّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِه وَالأَرْحَامَ إنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُم رَقِيباً ﴾ [ النساء : ١ ]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ وَقُولُوا قَولاً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ، وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوزاً عَظِيماً ﴾ [ الأحزاب : ٧٠ . ٧١ ]

أما بعد

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار .

ففى مثل هذه الأزمنة الغابرة التى استولت فيها الغفلة على القلوب ،

وضعفت فيها العين المتطلعة إلى الآخرة فلا تكاد ترى ، وظن الناس أن السعيد من فاز فى الدنيا بشهواتها ، ومن وصل إلى جاهها وسلطانها ، والشقى من حرم هذا الخير العظيم والرزق الكريم ، وهذا من الغفلة الشنيعة والجهل البليغ بالسعادة الحقيقية والشرف العظيم الذى جعله الله عز وجل للمتقين فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الناس لرب العالمين ولو ذاقت قلوب أهل الدنيا شيئاً من مواجيد أهل التقوى وما يجدونه من العزة والشرف فى الدنيا مع ما ينتظرهم من سعادة الآخرة ونعيمها ، لأكلوا أصابعهم ندماً وحسرة على ما فاتهم من الخير ويفوتهم إذا استمرت غفلتهم ، فالتقوى كما قال الغزالى رحمه الله : كنز عزيز ، فلئن ظفرت به فكم تجد فيه من جوهر شريف ، وخير كثير ، ورزق كريم ، وفوز كبير ، وغنم جسيم ، وملك عظيم ، فكأن خيرات الدنيا والآخرة جمعت فجعلت تحت هذه الخصلة الواحدة التى هى التقوى ، وتأمل ما فى القرآن من ذكرها فكم عَلَّقَ بها من خير ، وكم وعد عليها من خير وثواب وكم أضاف إليها من سعادة[1] .

فأهل التقوى هم ملوك الدنيا كما أنهم ملوك الآخرة ، وهم أهل السعادة الحقيقية والشرف العظيم فى الدنيا والآخرة كما قال تعالى : ﴿ **وَالعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى** ﴾ [ طه : ١٣٢ ] وقال تعالى : ﴿ **والآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾ [ الزخرف : ٣٥ ] .

وأنت يا أخى القارىء الكريم معى فى هذا الكتاب نسير مع التقوى فى كل باب ؛ لعلى وإياك عند الختام يمن الله علينا بالتوبة النصوح ومالها من الفتوح ويجعلنا من المتقين ، الذين تقر أعينهم فى الدنيا بالطاعات ، وفى الآخرة بالجنات ، وقد جمعت لك فى هذا الكتاب من المعانى الشريفة ،

---

(١) منهاج العابدين (٧) مكتبة الجندى .

والفوائد اللطيفة ، ما تنشرح له القلوب ، وتقترب به من علام الغيوب وغفار الذنوب ، فبدأت بذكر معانى التقوى وأقسامها ، وثنيت بذكر شرفها وخطرها ، ثم اجتهدت فى الباب الثالث فى بيان ما تتطلع إليه قلوب أصحاب الهمم العالية والنفوس الأبية ، وهو فى بيان كيف تتقى الله عز وجل ، وذكرت لك خمسة وسائل : الأولى محبة الله عز وجل ، والثانية فى استحضار المراقبة والحياء ، والثالثة فى معرفة ما فى طريق الحرام من الشرور والآلام ، والرابعة فى بيان كيف تغالب هواك وتطيع مولاك ، وخامسة الخمسة فى معرفة مكائد الشيطان ومصائده ، والحذر من وساوسه ودسائسه ، ثم زدتك تشريفاً وتعريفاً بأصحاب الرتب العالية والدرجات الرفيعة السامية ، بذكر صفات المتقين ، وختمت بحسن الختام ، وهو رحلة فى رياض التقوى ، ننزه قلوبنا وأبصارنا برؤية ثمرات التقوى العاجلة والآجلة . والأمر كما يقال :

طَبِيْبٌ يُدَاوِى ... وَالطَّبِيْبُ سَقِيمُ

ولولا ما نطمع فيه من رحمة الله وعفوه وكرمه ، وأن لا نحرم دعوة صالحة من أخ كريم ، لتقطعت القلوب يأساً من النفوس وصلاحها وقلة تقواها ، ولا تظن أن من تكلم عن التقوى فقد صار بذلك من المتقين ، فما أظهر الفرق بين العلم بوجوه الغنى واكتساب الأموال وهو فقير ، وبين العلم بأسباب الصحة وهو سقيم ، ولكن نرجو بذكر القوم ومحبتهم أن نجد ريحاً من أثر غبارهم ، أو أن نلحق ولو بساقتهم ، وكما قال ابن الجوزى رحمه الله : « إن صدقت فى طلابهم فانهض وبادر ، ولا تستصعب طريقهم فالمعين قادر ، تعرض لمن أعطاهم وسل فمولاك مولاهم ، رب كنز وقع به فقير ، ورب فضل اختص به صغير ، علم الخضر ما خفى على موسى ، وكشف لسليمان ما خفى عن داود »[1].

---

(١) المدهش لابن الجوزى (٤٢٨) بتصرف دار الكتب العلمية

وسوف تجد فى صحبة هذا الكتاب ومبانيه ما يبين لك شرف معانيه ، فتجد شرف التقوى فى طياته ، وسعادتها بين وريقاته ، نسأل الله أن يجعلنا من أهلها وأن يقسم لنا من كنوزها وثمراتها . وأن يبارك فى هذا الكتاب وفى جامعه وناشره ومن قرأه يلتمس الهداية والتوفيق ، والله الهادى لأقوم طريق فهو الذى تقر القلوب بمحبته فى الدنيا وبرؤيته فى الجنة ، وصلى الله على رسوله المصطفى وآله وأصحابه ومن اتبع السنة وسلم تسليماً .



## □ معنى التقوى ومراتبها □

**المعنى اللغوى** : قال فى المصباح : وقاه الله السوء وقاية : حفظه والوقاء مثل كتاب كل ما وقيت به شيئاً ، وروى أبو عبيد عن الكسائى الفتح فى ( الوقاية ) و ( الوقاء ) أيضاً و ( اتقيت ) الله ( اتقاءً ) و ( التقية ) و ( التقوى ) اسم منه والتاء مبدلة من واو والأصل « وقى » .اهـ[1] .

**المعنى الشرعى** : اختلفت تعبيرات العلماء فى تعريف التقوى مع أن الجميع يدور حول مفهوم واحد ، وهو أن يأخذ العبد وقايته من سخط الله عز وجل وعذابه ، وذلك بامتثال المأمور واجتناب المحظور .

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله :

وأصل التقوى أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية تقيه منه ، فتقوى العبد لربه أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه من غضبه وسخطه وعقابه وقاية تقيه من ذلك ، وهو فعل طاعته واجتناب معاصيه ، وتارة تضاف التقوى إلى اسم الله عز وجل كقوله تعالى : ﴿ **وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ** ﴾ [ المائدة : ٩٦ ] وقال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَت لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** ﴾ [ الحشر : ١٨ ] فإذا أضيفت التقوى إليه سبحانه وتعالى فالمعنى اتقوا سخطه وغضبه وهو أعظم ما يتقى ، وعن ذلك ينشأ عقابه الدنيوى والأخروى ، قال تعالى : ﴿ **وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ** ﴾ [ آل عمران : ٢٨ ] وقال

---

(١) المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير للرافعى (٦٦٩) - دار المعارف .

تعالى : ﴿ **هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ** ﴾ [ المدثر : ٥٦ ] **فهو** سبحانه **أهل** أن يخشى ويهاب ويجل ويعظم فى صدور عباده ، حتى يعبدوه ويطيعوه ؛ لما يستحقه من الإجلال والإكرام وصفات الكبرياء والعظمة وقوة البطش ، وفى الترمذى عن أنس عن النبى ﷺ فى هذه الآية : ﴿ **هو أهل التقوى** ... ﴾ قال الله تعالى : « **أنا أهل التقوى ، فمن اتقانى فلم يجعل معى إلهاً آخر فأنا أهل أن أغفر له** »[1] . وتارة تضاف التقوى إلى عقاب الله ، أو إلى مكانه كالنار ، أو إلى زمانه كيوم القيامة كما قال تعالى : ﴿ **وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِى أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ** ﴾ [ آل عمران : ١٣١ ] وقال تعالى : ﴿ **فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِى وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ** ﴾ [ البقرة : ٢٤ ] ، وقال تعالى : ﴿ **وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ** ﴾ [ البقرة : ٢٨ ] ﴿ **وَاتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً** ﴾ [ البقرة : ٤٨ ] .

ويدخل فى التقوى الكاملة فعل الواجبات وترك المحرمات والشبهات ، وربما دخل فيها بعد ذلك فعل المندوبات وترك المكروهات قال الله تعالى : ﴿ **الٓمٓ ذَلِكَ الكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ، وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ** ﴾[2] [ البقرة : ١ - ٤ ] .

وقال ابن القيم رحمه الله :

وأما التقوى فحقيقتها العمل بطاعة الله إيماناً واحتساباً ، أمراً ونهياً ، فيفعل ما أمر الله به إيماناً بالآمر وتصديقاً بوعده، ويترك ما نهى الله عنه إيماناً

---

(١) رواه أحمد (١٤٢/٣ ، ٢٤٣) وابن ماجة (٤٢٩٩) الزهد ، والدارمى (٣٠٣/٢) رقاق ، وضعفه الألبانى .

(٢) جامع العلوم والحكم (١٤٨ - ١٤٩) باختصار .

بالنهى وخوفاً من وعيده ، كما قال طلق بن حبيب : « إذا وقعت الفتنة فأطفئوها بالتقوى . قالوا : وما التقوى ؟ قال : أن تعملَ بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله ، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله » . وهذا من أحسن ما قيل فى حد التقوى ، فإن كل عمل لا بد له من مبدأ وغاية ، فلا يكون العمل طاعة وقربة حتى يكون مصدره عن الإيمان فيكون الباعث عليه هو الإيمان المحض لا العادة ولا الهوى ولا طلب المحمدة والجاه وغير ذلك ، بل لا بد أن يكون مبدؤه محض الإيمان وغايته ثواب الله وابتغاء مرضاته وهو الاحتساب .

ولهذا كثيراً ما يقرن بين هذين الأصلين فى مثل قول النبى صلى الله عليه وسلم : « **من صام رمضان إيماناً واحتساباً** »[1] . « **ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً** »[2] ونظائره .

**فقوله** : « على نور من الله » إشارة إلى الأصل الأول وهو مصدر العمل والسبب الباعث عليه .

**وقوله** : « ترجو ثواب الله » إشارة إلى الأصل الثانى وهو الاحتساب ، وهو الغاية التى لأجلها توقع العمل ويقصد به[3] .

وقال العلامة نعمان بن محمود الألوسى رحمه الله :

وفى تحفة الإخوان : التقوى امتثال الأوامر واجتناب النواهى ولها ثلاث مراتب : الأولى التوق من العذاب المخلد بالتبرى من الشرك وعليه قوله تعالى : ﴿ **وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى** ﴾ [ الفتح : ٢٦ ] .

---

(١) رواه البخارى (١١٥/٤) الصوم .

(٢) رواه البخارى (٢٥٥/٤) فضل ليلة القدر ، ومسلم (٤٠/٦ ، ٤١) صلاة المسافرين .

(٣) الرسالة التبوكية بتحقيق أشرف عبد المقصود ونشر مكتبة التوعية الإسلامية (١٥ - ١٧) .

والثانية : التجنب عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك حتى الصغائر عند قوم ، وهو المتعارف بالتقوى فى الشرع وهو المعنى بقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوا ﴾ [ الأعراف : ٩٦ ] وعلى هذا قول عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه : التقوى ترك ما حرم الله وأداء ما افترض الله ، فما رزق الله بعد ذلك فهو خير إلى خير .

الثالثة : أن يتنزه عما يشغل سره عن الله تعالى ، وهذه هى التقوى الحقيقية المطلوبة بقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾ [ آل عمران : ١٠٢ ] وقال ابن عمر : أن لا ترى نفسك خيراً من أحد[1] .

وقال الغزالى رحمه الله :

اعلم أولاً - بارك الله فى دينك وزاد فى يقينك - أن التقوى فى قول شيوخنا رحمهم الله هى تنزيه القلب عن ذنب لم يسبق عنك مثله ، حتى تحصل لك من قوة العزم على تركه وقاية بينك وبين المعاصى .

فإذن لما حصلت وقاية بين العبد وبين المعاصى من قوة عزمه على تركها ، وتوطين قلبه على ذلك ، فيوصف حينئذ بأنه متق ، ويقال لذلك التنزيه والعزم والتوطين : تقوى ، والتقوى فى القرآن : تطلق على ثلاثة أشياء :

أحدها بمعنى الخشية والهيبة قال الله تعالى : ﴿ وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴾ [ البقرة : ٤١ ] ، وقال تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ﴾ [ البقرة : ٢٨١ ]

والثانى بمعنى الطاعة والعبادة قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا

---

(١) غالية المواعظ ومصباح المتعظ وقبس الواعظ (٤٨/٢) دار المعرفة .
وقول ابن عمر رضى الله عنهما لا شك أنه يشير إلى نوع من التقوى وليست التقوى الكاملة ، وأصح من ذلك أن يقال هو نوع من الزهد ، وهو الزهد فى النفس ، والزهد فى النفس أقصى غاية الزهد .

**اللّٰهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾** [ آل عمران : ١٠٢ ] قال ابن عباس رضى الله عنهما : أطيعوا الله حق طاعته .

وقال مجاهد : هو أن يطاع فلا يعصى ، وأن يذكر فلا ينسى ، وأن يشكر فلا يكفر .

والثالث : بمعنى تنزيه القلب عن الذنوب ، فهذه هى الحقيقة عن التقوى دون الأولين ، ألا ترى أن الله يقول : **﴿ وَمَن يُطِعِ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الفَائِزُونَ ﴾**[ النور : ٥٢ ] ذكر الطاعة والخشية ثم ذكر التقوى ، فعلمت أن حقيقة التقوى معنى سوى الطاعة والخشية ، وهى تنزيه القلب عما ذكرناه ، ثم قالوا : منازل التقوى ثلاثة : تقوى عن الشرك ، وتقوى عن البدعة ، وتقوى عن المعاصى الفرعية ، ولقد ذكرها الله سبحانه وتعالى فى آية واحدة وهى قوله جَلَّ مِن قائل : **﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِيْنَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ جُنَاحٌ فِيْمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوا وآمَنُوا وَعَمِلوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوا وآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوا وَأَحْسَنُوا ﴾** [ المائدة : ٩٣ ] .

فالتقوى الأولى تقوى عن الشرك ، والإيمان الذى فى مقابلتها التوحيد ، والتقوى الثانية عن البدعة ، والإيمان الذى ذكر معها إقرار عقود السنة والجماعة ، والتقوى الثالثة عن المعاصى الفرعية ، ولا إقرار فى هذه المنزلة فقابلها بالإحسان وهو الطاعة والاستقامة عليها ، فتكون منزلة مستقيمى الطاعة ، فالآية جمعت ذكر المنازل الثلاث : منزلة الإيمان ، ومنزلة السنة ، ومنزلة استقامة الطاعة .

**قال** : وأنا وجدت التقوى بمعنى اجتناب فضول الحلال ، وهو ما روى فى الخبر المشهور عن النبى ﷺ أنه قال : « **إنما سمى المتقون متقين**

**لتركهم ما لا بأس به حذراً عما به بأس »**[1] .

فهذه أقوال العلماء فى معنى التقوى وأقسامها ولا شك أن اسم التقوى يسع ما ذكر ، وأحوال الناس معها لا تعارض ذلك ، فمن الناس من يقى نفسه الخلود فى النار ، وذلك بالإقرار بالتوحيد وتصديق الرسول ﷺ ، ولكنه لا يقى نفسه دخول النار بالكلية ، فيفرط فى الواجبات ويتلبس بالمخالفات ، فهذا نوع من التقوى وإن كان فى أدنى درجاتها ، ولا يستحق صاحبها اسم المتقى بإطلاق ، لأنه متعرض للعذاب مستحق للعقاب ، إن لم تتداركه رحمة الله فإنه تعالى لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن الناس من يتقى الكفر وكبائر الذنوب ويداوم على طاعة الله عز وجل بفعل الواجبات وترك المحرمات من كبائر الذنوب إلا أنه لا يتورع عن الصغائر ولا يكثر من النوافل .

فلا شك أنه أقرب للنجاة لقول الله عز وجل : ﴿ **إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُم سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيماً** ﴾ [ النساء : ٣١ ] وقول النبى ﷺ : « **الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر** »[2] إلا أنه لم يأخذ الجُنّة الكاملة من النار ، فلا بد أن يكون هناك من التقصير فى الفرائض

---

(١) منهاج العابدين (٧٤ ، ٧٥) بتصرف – مكتبة الجندى .
والحديث رواه الترمذى (٢٧٨/٩) ، القيامة وقال : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وابن ماجة (٤٢١٥) الزهد ، والحاكم (٣١٩/٤) الرقاق وقال : صحيح الإسناد و لم يخرجاه ووافقه الذهبى وقال الألبانى : وهذا عجب منه فإن عبد الله بن يزيد لم يوثقه أحدٌ وضعفه فى بلوغ المرام (١٧٨)وضعيف ابن ماجة (٩٢٤) .

(٢) رواه مسلم (١١٧/٣ . ١١٨) الطهارة ، والترمذى (١٤/٢ . ١٥) الصلاة .

والوقوع فى الصغائر التى يخشى من المداومة عليها التجرؤ على الكبائر ، وليس له من نوافل الطاعات واجتناب الشبهات والمكروهات ما يكمل به تقوى العبد ؛ لذا قال الله عز وجل : ﴿ **يَا أَيُّها الَّذينَ آمَنوا اتَّقُوا اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ** ﴾ [ آل عمران : ١٠٢ ] فالتقوى الحقيقية هى أن يجتهد العبد فى ترك الذنوب كلها صغارها وكبارها ، ويجتهد فى الطاعات كلها الواجبات والنوافل ما استطاع ، لعل كثرة النوافل تعوض ما قد يعرض من تقصير واجتناب الصغائر يجعل بين العبد وبين الكبائر جُنَّةً حصينةً كما قال عز وجل : ﴿ **فَاتَّقُوا اللّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ** ﴾ [ التغابن : ١٦ ] فمثل هذا يستحق اسم المتقى ، واجتهاده فى الطاعات كلها من الواجبات والنوافل وترك المعاصى ما استطاع من كبائر وصغائر وترك ما لا بأس به حذراً مما به بأس هو التقوى التى دارت عليها أقوال السلف .

قال أبو الدرداء : تمام التقوى أن يتقى الله العبد حتى يتقيه من مثقال ذرة ، وحتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حراماً ، يكون حجاباً بينه وبين الحرام ، فإن الله قد بين للعباد الذى يصيرهم إليه فقال : ﴿ **فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَه ، وَمَن يَعْمَل مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَه** ﴾ [ الزلزلة : ٧ – ٨ ] فلا تحقرن شيئاً من الخير أن تفعله ولا شيئاً من الشر أن تتقيه .

قال الحسن : ما زالت التقوى بالمتقين حتى تركوا كثيراً من الحلال مخافة الحرام .

وقال الثورى : إنما سموا متقين لأنهم اتقوا ما لا يتقى .

وقال موسى بن أعين : المتقون تنزهوا عن أشياء من الحلال مخافة أن يقعوا فى الحرام فسماهم الله متقين .

وقال ميمون بن مهران : المتقى أشد محاسبة لنفسه من الشريك الشحيح لشريكه . وقال ابن مسعود فى قوله تعالى : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾ [ آل عمران : ١٠٢ ] قال : أن يطاع فلا يعصى ، ويذكر فلا ينسى ، وأن يشكر فلا يكفر[1] .

قال ابن رجب رحمه الله : وشكره يدخل فيه جميع فعل الطاعات ومعنى ذكره فلا ينسى : ذكر العبد بقلبه لأوامر الله فى حركاته وسكناته وكلماته فيتمثلها ، ولنواهيه فى ذلك كله فيتجنبها ، وقد يغلب استعمال التقوى على اجتناب المحرمات ، كما قال أبو هريرة وسئل عن التقوى فقال : هل أخذت طريقاً ذا شوك ؟ قال : نعم ، قال : فكيف صنعت ؟ قال : إذا رأيت الشوك عزلت عنه أو جاوزته أو قصرت عنه قال : ذاك التقوى . وأخذ هذا ابن المعتمر وقال :

خَلِ الذُّنُوبَ صَغِيْرِهَا ... وَكَبِيرَهَا فَهُوَ التُّقَى
وَاصْنَعْ كَمَاشٍ فَوقَ أَرْ ... ضِ الشَّوْكِ يَحْذَرُ مَا يَرَى
لَا تَحْقِرَنَّ صَغِيرَةً ... إِنَّ الجِبَالَ مِنَ الحَصَى

وأصل التقوى أن يعلم العبد ما يتقى ثم يتقى

ذكر معروف الكرخى عن بكر بن خنيس قال : كيف يكون متقياً من لا يدرى ما يتقى ؟ ثم قال معروف الكرخى : إذا كنت لا تحسن تتقى أكلت الربا ، وإذا كنت لا تحسن تتقى لقيتك امرأة و لم تغض بصرك ، وإذا كنت لا تحسن تتقى وضعت سيفك على عاتقك[2] .

---

(١) رواه الحاكم (٢/٢٩٤) التفسير ، دون قوله : « وأن يشكر فلا يكفر » وقال: على شرط الشيخين و لم يخرجاه ووافقه الذهبى .

(٢) باختصار من جامع العلوم والحكم (١٤٠ - ١٥٠) .

وروى الحافظ ابن عساكر فى ترجمة سعيد بن مسلم . قال سعيد : لقد حدثنى سليمان بن المغيرة أنه عمل ذنباً فاستصغره فأتاه آت فى منامه فقال له : يا سليمان :

لا تَحقِرَنَّ مِنَ الذنُوبِ صَغيراً — إن الصَّغيرَ غداً يَعُودُ كَبيراً
إنَّ الصغِيرَ وَلَوْ تَقَادَمَ عَهْدُهُ — عِنْدَ الإلَهِ مُسَطَّرَا تَسْطِيْراً
فَازْجرُ هَوَاكَ عَنِ البَطَالَة لا تكُنْ — صَعْبَ القِيَاد وشمِّرن تَشْمِيْراً
إنَّ المحبَّ إذَا أُحَبَّ إلَهَهُ — طَارَ الفُؤادُ وَأُلْهِمَ التفكيرا
فَاسْأل هدَايتك الإله فتتئد — فكفَى برَبِّك هَادِياً وَنَصيْراً

وقال الإمام أحمد رحمه الله : التقوى هى ترك ما تهوى لما تخشى .

وقيل : هى الخوف من الجليل ، والرضا بالتنزيل ، والاستعداد ليوم الرحيل .

وقيل : هى أن لا يراك الله حيث نهاك ، ولا يفتقدك حيث أمرك ،

نسأل الله أن يهدينا سواء السبيل ، وأن يغفر لنا ما بدا من تقصير ، وأن يدخلنا برحمته فى شفاعة البشير النذير فقد بان بما ذكرنا عن التقوى فقرنا من أقسامها ومعانيها وإفلاسنا من أعلامها ومبانيها .

* * *

## □ شرف التقوى وأهميتها □

### ○ التقوى وصية الله عز وجل للأولين والآخرين ○

قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتوا الكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللّهَ ﴾ [ النساء : ١٣١ ] .

قال الغزالى رحمه الله :

أليس الله تعالى أعلم بصلاح العبد من كل أحد ، أو ليس هو أنصح له وأرحم وأرأف من كل أحد ، ولو كانت فى العالم خصلة هى أصلح للعبد ، وأجمع للخير ، وأعظم للأجر ، وأجل فى العبودية ، وأعظم فى القدر ، وأولى بالحال ، وأنجح فى المآل ، من هذه الخصلة التى هى التقوى لكان الله تعالى أمر بها عباده ، وأوصى خواصه بذلك لكمال حكمته وسعة رحمته ، فلما أوصى بهذه الخصلة الواحدة ، وجمع الأولين والآخرين من عباده فى ذلك واقتصر عليها ، علمت أنها الغاية التى لا متجاوز عنها ، ولا مقصود دونها ، وأنه عز وجل قد جمع كل نصح ودلالة وإرشاد وتنبيه وتأديب وتعليم وتهذيب فى هذه الوصية الواحدة ، كما يليق بحكمته ورحمته ، وعلمت أن هذه الخصلة التى هى التقوى هى الجامعة لخيرى الدنيا والآخرة الكافية لجميع المهمات المبلغة إلى أعلى الدرجات .

وهذا أصل لا مزيد عليه ، وفيه كفاية لمن أبصر النور واهتدى وعمل بذلك واستغنى والله ولى الهداية والتوفيق بِمَنِّهِ[١] .

---

(١) منهاج العابدين (٧٢ – ٧٣) باختصار .

## ○ التقوى وصية النبى ﷺ لأمته ○

عن العرباض بن سارية قال : صلى بنا رسول الله ﷺ الصبح فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال قائل : يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا فقال : « **أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبداً حبشياً ، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ؛ فإن كل بدعة ضلالة** »[1] .

قوله : « **أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة** » .

قال ابن رجب رحمه الله : فهاتان الكلمتان تجمعان سعادة الدنيا والآخرة ، أما التقوى فهى كافلة سعادة الدنيا والآخرة لمن تمسك بها ، وهى وصية الله للأولين والآخرين ، وأما السمع والطاعة لولاة أمور المسلمين ففيها سعادة الدنيا وبها تنتظم مصالح العباد فى معاشهم ، وبها يستعينون على إظهار دينهم وطاعة ربهم[2] .

وعن أبى ذر جُنْدَب بن جُنَادَة وأبى عبد الرحمن معاذ بن جبل رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال : « **اتق الله حيث ما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن** »[3] .

---

(١) رواه أحمد (٤/١٢٦ ، ١٢٧) ، وأبو داود (٤٥٨٣) السنة ، والترمذى (٢٦٧٦) العلم ، وابن ماجة (٤٣) ، والدارمى (١/٤٤ ، ٤٥) المقدمة ، والبغوى (١/٢٠٥) شرح السنة وقال الترمذى : حسن صحيح ، وصححه الألبانى .

(٢) جامع العلوم والحكم (٢٤٧) باختصار .

(٣) رواه الترمذى (٨/١٥٥) البر وقال : هذا حسن صحيح ، وأحمد (٥/١٥٨) وحسنه الألبانى (١٦١٨) صحيح الترمذى .

وقوله ﷺ : « **حيثما كنتَ** » أى : فى السر والعلانية ، حيث يراه الناس وحيث لا يرونه .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ يوماً لأصحابه : « **من يأخذ عنى هؤلاء الكلمات فيعمل بهن ، أو يعلم من يعمل بهن ؟** » قال أبو هريرة ، قلت : أنا يا رسول الله ، فأخذ بيدى وعَدَّ خمسا فقال : « **اتق المحارم تكن أعبد الناس ، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس ، وأحسن إلى جارك تكن مؤمنا ، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً ، ولا تكثر الضحك ؛ فإن كثرة الضحك تميت القلب** »(١) .

وعن أبى أمامةَ قال : سمعت رسول الله ﷺ يخطب فى حجة الوداع فقال : « **اتقوا الله وصلوا خمسكم ، وصوموا شهركم ، وأدوا زكاة أموالكم وأطيعوا ذا أمركم تدخلوا جنة ربكم** »(٢) .

وعن أبى سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **أوصيك بتقوى الله تعالى فإنه رأس كل شىء ، وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام ، وعليك بذكر الله تعالى وتلاوة القرآن ، فإن روحك فى السماء وذكرك فى الأرض** »(٣) .

---

(١) رواه الترمذى (١٨٣/٩ ، ١٨٤) الزهد وقال : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث جعفر بن سليمان ، ورواه أحمد (٢/ ٣١٠) وابن ماجة (٤٢١٧) الزهد بمعناه وحسنه الألبانى وكذا فى تحقيق جامع الأصول .

(٢) رواه الترمذى (٦١١١ تحفة) ، الصلاة وقال : هذا حديث حسن صحيح ، ورواه أحمد (٢٥١/٥ ) ، والحاكم (٩/١) وقال : صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبى وصححه الألبانى .

(٣) رواه أحمد (٨٢/٣) وحسنه الألبانى بشاهده وهو فى الصحيحة رقم (٥٥٥) .

وعن أبى ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **أوصيك بتقوى الله تعالى فى سر أمرك وعلانيته ، وإذا أسأت فأحسن ، ولا تسألن أحداً شيئاً ، ولا تقبض أمانة ، ولا تقضِ بين اثنين** »[1] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **أوصيك بتقوى الله ، والتكبير على كل شرف**[2] .

وكان من دعاء النبى ﷺ : « **اللهم آت نفسى تقواها ، زكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها** »[3] .

* * *

---

(١) رواه أحمد (١٨١/٥) وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع رقم (٢٥٤١) .

(٢) رواه أحمد (٣٢٥/٢ ، ٣٣١) ، وابن ماجة (٢٧٧١) الوصايا ، والحاكم (٤٤٥/١ ، ٤٤٦) (٩٨/٢) وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبى وقال الألبانى فى الصحيحة (١٧٣٠) : وهو كما قالا إلا أن أسامة بن زيد الليثى فيه كلام يسير حسن الإسناد .

(٣) رواه مسلم(٤١/١٧) بزيادة فى أوله وآخره ، وأحمد (٣٧١/٤) ، (٢٠٩/٦) بلفظ رب أعط نفسى تقواه .

## ○ التقوى هي وصية جميع الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام ○

قال الله تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِيْنَ ، إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوْحٌ أَلا تَتَّقُونَ ﴾ [ الشعراء : ١٠٥ ، ١٠٦ ]

وقال تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِيْنَ ، إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُوْدٌ أَلا تَتَّقُونَ ﴾ [ الشعراء : ١٢٣ ، ١٢٤ ]

وقال تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُود الْمُرْسَلِيْنَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلا تَتَّقُونَ ﴾ [ الشعراء : ١٤١ ، ١٤٢ ]

وقال تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوْطٍ الْمُرْسَلِيْنَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوْهُمْ لُوْطٌ أَلاَ تَتَّقُونَ ﴾ [ الشعراء : ١٦٠ ، ١٦١ ]

وقال تعالى : ﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ لئَيكَةِ الْمُرْسَلِيْنَ ، إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [ الشعراء : ١٧٦ ، ١٧٧ ]

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوْسَى أَنْ ائتِ الْقَوْمَ الظَّالِمينَ ، قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلا يَتَّقُونَ ﴾ [ الشعراء : ١٠ ، ١١ ]

ولا شك أن الرسل هم أزكى البشر ، وأنصح الناس لهم ، فلو علموا أن هناك خصلة للناس أنفع لهم من التقوى لما عدلوا عنها ، فلما أجمعوا عليها بان خطرها وعظيم موقعها وشرفها نسأل الله أن يجعلنا من أهلها العاملين بها والمتعاونين عليها .

* * *

## ○ التقوى وصية السلف الصالح رضى الله عنهم ○

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله : ولم يزل السلف الصالح يتواصونَ بها : كان أبو بكر رضى الله عنه يقول فى خطبته : أما بعد فإنى أوصيكم بتقوى الله ، وأن تثنوا عليه بما هو أهله ، وأن تخلطوا الرغبة بالرهبة ، وتجمعوا الإلحاف بالمسألة ، فإن الله عز وجل أثنى على زكريا وأهل بيته فقال :
﴿ **إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُوْنَ فِي الخَيرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِيْنَ** ﴾ [ الأنبياء : ٩٠ ]

ولما حضرته الوفاة وعهد إلى عمر دعاه فوصاه بوصيته ، وأول ما قاله له : اتق الله يا عمر .

وكتب عمر إلى ابنه عبد الله : أما بعد ، فإنى أوصيك بتقوى الله عز وجل ؛ فإنه من اتقاه وقاه ، ومن أقرضه جزاه ، ومن شكره زاده ، واجعل التقوى نُصْبَ عينيك ، وجلاء قلبك .

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى رجل : أوصيك بتقوى الله عز وجل التى لا يقبل غيرها ، ولا يرحم إلا أهلها ، ولا يثيب إلا عليها ، فإن الواعظين بها كثير ، والعاملين بها قليل ، جعلنا الله وإياك من المتقين . ولما ولى خطب فحمد الله وأثنى عليه وقال : أوصيكم بتقوى الله عز وجل ، فإن تقوى الله عز وجل خلفٌ من كل شيء ، وليس من تقوى الله خلف .

وقال رجل ليونس بن عبيد : أوصنى ، فقال : أوصيك بتقوى الله والإحسان ؛ فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون . وكتب رجل من

السلف إلى أخ له : أوصيك بتقوى الله فإنها من أكرم ما أسررت ، وأزين ما أظهرت ، وأفضل ما ادَّخرتَ أعاننا الله وإياك عليها ، وأوجب لنا ولك ثوابها .

وقال شعبة : كنت إذا أردت الخروج قلت للحكم : ألك حاجة فقال : أوصيك بما أوصى به النبى ﷺ معاذ بن جبل : « **اتق الله حيث ما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن** »[1] .

وقال ابن القيم رحمه الله : ودع ابن عون رجلاً فقال : عليك بتقوى الله ، فإن المتقى ليست عليه وحشة .

وقال زيد بن أسلم : كان يقال : من اتقى الله أحبه الناس وإن كرهوا .

وقال الثورى لابن أبى ذئب : إن اتقيت الله كفاك الناس ، وإن اتقيت الناس لن يغنوا عنك من الله شيئاً[1] .

* * *

(١) باختصار من جامع العلوم والحكم (١٥٠ — ١٥١) .
والحديث تقدم تخريجه ص (١٩) .

## ○ التقوى أجمل لباس يتزين به العبد ○

قال الله تعالى : ﴿ **يَا بَنِى آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوارِى سَوْءاتِكُم وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِك خَيْر ...** ﴾ [ الأعراف : ٢٦ ]

فبعد أن تمنن الله عز وجل على عباده بما جعل لهم من اللِّباس والريش .

واللباس ما يستر به العورات ، والريش والرياش ما يتجمل به – فالأول من الضروريات والثانى من الزيادات والتكميليات – دلهم على أفضل لباس وهو ما يوارى عورات الظاهر والباطن ويتجمل به ، وهو لباس التقوى .

قال القرطبى رحمه الله :

قوله تعالى : ﴿ **وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ** ﴾ بين أن التقوى خير لباس كما قيل[٢] :

إِذَا الْمَرءُ لَمْ يَلْبَسْ ثِيَابًا مِنَ التُّقَى — تَقَلَّبَ عُرْياناً وَإِنْ كَانَ كَاسِيَا
وَخَيْرُ لِبَاسِ المَرْءِ طَاعَةُ رَبِّهِ — وَلا خَيْرَ فِيْمَنْ كَانَ لله عَاصِيَا

وروى قاسم بن مالك عن عوف عن معبد الجهنى قال : « لِبَاسُ التَّقْوَى » الحياء .

وقال ابن عباس : « لِبَاسُ التَّقْوَى » هو العمل الصالح .

وعنه أيضا : السمتُ الحسنُ فى الوجه .

---

(١) الفوائد (٧١) دار الدعوة الإسكندرية .
(٢) البيتان منسوبان لأبى العتاهيه .

وقيل : ما علمه الله عز وجل وهدى به .

ومن قال إنه لبس الخشن من الثياب فإنه أقرب إلى التواضع وترك الرعونات فدعوى ؛ فقد كان الفضلاء من العلماء يلبسون الرفيع من الثياب مع حصول التقوى[1] .

* * *

(١) الجامع لأحكام القرآن (٣/٢٦٢٠، ٢٦٢١) باختصار .

## ○ التقوى هى أفضل زاد يتزود به العبد : ○

قال الله عز وجل : ﴿ **وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِى الأَلْبَابِ** ﴾ [ البقرة : ١٩٧ ]

قال ابن كثير رحمه الله :

وقوله : ﴿ **فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى** ﴾ لما أمرهم بالزاد للسفر عن الدنيا ، أرشدهم إلى زاد الآخرة ، وهو استصحاب التقوى إليها ، كما قال تعالى : ﴿ **وَرِيْشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْر** ﴾ لما ذكر اللباس الحسى ، نبه مرشداً إلى اللباس المعنوى ، وهو الخشوع والطاعة والتقوى ، وذكر أنه خير من هذا وأنفع ، قال عطاء الخراسانى فى قوله : ﴿ **فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى** ﴾ يعنى زاد الآخرة[1] .

وقال الزمخشرى رحمه الله : أى اجعلوا زادكم إلى الآخرة اتقاء القبائح ، فإن خير الزاد اتقاؤها . وقيل : كان أهل اليمن لا يتزودون ويقولون نحن متوكلون ، ونحن نحج بيت الله أفلا يطعمنا فيكونون كَلّاً على الناس ، فنزلت فيهم ، ومعناه : وتزودوا واتقوا الاستطعام وإبرام[2] الناس والتثقيل عليهم فإن خير الزاد التقوى : ﴿ **واتقون** ﴾ : وخافوا عقابى ﴿ **يا أوْلِى الألْبَابِ** ﴾ يعنى : أن قضية اللُّبِ تقوى الله ، ومن لم يتقه من الألباء فكأنه لا لُبَّ له[3] .

---

(١) تفسير القرآن العظيم (١/٢٣٩) – دار المعرفة .

(٢) أى إملالهم وإضجارهم .

(٣) الكشاف (١/٢٤٤) – الريان .

## ○ أهل التقوى هم أولياء الله عز وجل وهم أكرم الناس ○

قال الله تعالى : ﴿ **أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُوْنَ الَّذِيْنَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ..** ﴾ [ يونس : ٦٣ ] وقال تعالى : ﴿ **وَاللهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِين** ﴾ [ الجاثية : ١٩ ] وقال عز وجل مبيناً أنه لا يستحق الولاية إلا أهل هذه المنزلة العلية والرتبة السنية فقال عز وجل : ﴿ **إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ [ الأنفال : ٣٤ ] .

وجعل الله عز وجل التقوى هى ميزان الحق الذى يوزن به الناس ، لا ميزان الحسب والنسب والمال والشهرة ، فقال عز وجل : ﴿ **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** ﴾ [ الحجرات : ١٣ ] .

وهذا الميزان كذلك هو ميزان النبى ﷺ .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « سئل رسول الله ﷺ من أكرم الناس ؟ قال : أتقاهم لله .. »[1].

قال الشنقيطى رحمه الله : إن الفضل والكرم إنما هو بتقوى الله لا بغيره من الانتساب إلى القبائل ، ولقد صدق من قال :

فَقَدْ رَفَعَ الإِسْلَامُ سَلْمَانَ فَارِسٍ ... وَقَدْ وَضَعَ الكفْرُ الشَّرِيْفَ أَبا لَهَبِ

وقد ذكروا أن سلمان رضى الله عنه كان يقول :

أَبِي الإِسْلَامُ لَا أَبَ لِى سِوَاهُ ... إِذَا افْتَخَرُوْا بِقَيْسٍ أَوْ تَمِيمِ

---

(١) رواه البخارى (٤١٧/٦) أحاديث الأنبياء .

فأكرم الناس وأفضلهم أتقاهم لله ، ولا كرم ولا فضل لغير المتقي ولو كان رفيع النسب[1] .

* * *

(١) أضواء البيان (٦٣٥/٧) باختصار وتصرف .

## ○ ولشرف التقوى أمر الله عز وجل المسلمين ○ بالتعاون عليها ونهاهم عن التعاون على ما يخالفها

قال الله تعالى : ﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ** ﴾ [ المائدة : ٢ ] .

قال القرطبى رحمه الله :

قال الماوردى : ندب الله سبحانه إلى التعاون بالبر وقرنه بالتقوى لله ؛ لأن فى التقوى رضا الله تعالى ، وفى البر رضا الناس ، ومن جمع بين رضا الله تعالى ورضا الناس فقد تمت سعادته وعمت نعمته .

وقال ابن خويز منداد فى أحكامه : والتعاون على البر والتقوى يكون بوجوه ، فواجب على العالم أن يعين الناس بعلمه فيعلمهم ، ويعينهم الغنى بماله والشجاع بشجاعته فى سبيل الله ، وأن يكون المسلمون متظاهرين كاليد الواحدة قال رسول الله ﷺ : « **المسلمون تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم** »[(١)] .

وقال القاسمى رحمه الله :

وفى « الإكليل » استدل المالكية بالآية على بطلان إجارة الإنسان نفسه لحمل خمر ونحوه ، وبيع العنب لعاصره خمراً ، والسلاح لمن يعصى به وأشباه ذلك انتهى وهو متجه[(٢)] .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢٠٤٤/٣) والحديث رواه أبو داود (٤٥٠٧) الديات ، وابن ماجة (٢٦٨٣) الحدود وصححه الألبانى .

(٢) محاسن التأويل (٢٥/٦) بتصرف .

وقال ابن القيم رحمه الله :

وقد اشتملت هذه الآية على جميع مصالح العباد فى معاشهم ومعادهم فيما بينهم بعضهم بعضاً ، وفيما بينهم وبين ربهم ، فإن كل عبد لا ينفك عن هاتين الحالتين ، وهذين الواجبين : واجب بينه وبين الله ، وواجب بينه وبين الخلق ، فأما ما بينه وبين الخلق من المعاشرة والمعاونة والصحبة فالواجب عليه فيها أن يكون اجتماعه بهم وصحبته لهم متعاوناً على مرضاة الله وطاعته ، التى هى غاية العبد وفلاحه ، ولا سعادة له إلا بها ، وهى البر والتقوى ، اللذان هما جماع الدين كله[1] .

* * *

(١) الرسالة التبوكية (١٢) .

## □ كيف تتقى الله عز وجل □

هذا باب لا يدخل فيه إلا النفوس الفاضلة الشريفة الأبية ، التى لا تقنع بالدون ، ولا تبيع الأعلى بالأدنى بيع العاجز المغبون .

فبعد أن بينا شرف التقوى وتشوقت النفوس إليها فقد يقول قائل : بالله عليك كيف أحوز هذه الجوهرة النفيسة وأصل إلى هذه المرتبة الشريفة ، فإن المؤمن إذا رُغِّبَ فى الخير رَغِبَ ، وإذا خُوِّفَ من الشر هرب ، ولا خير فيمن إذا زجر لا ينزجر ، وإذا أُمِرَ لا يأتمر .

قال الغزالى رحمه الله : « إنما الفضيلة فى أمر هذه النفس أن تقوم عليها بقوة العزم فتمنعها عن كل معصية ، وتصونها عن كل فضول ، فإذا فعلت ذلك كنت قد اتقيت الله تعالى فى عينك وأذنك ولسانك وقلبك وبطنك وفرجك وجميع أركانك ، وألجمتها بلجام التقوى ، ولهذا الباب شرح يطول ، وأما الذى لا بد منه ههنا فأن نقول : من أراد أن يتقى الله فليراع الأعضاء الخمسة فإنهن الأصول : وهى العين والأذن واللسان والقلب والبطن ، فيحرص عليها بالصيانة لها عن كل ما يخاف منه ضرراً فى أمر الدين من معصية وحرام وفضول وإسراف من حلال ، وإذا حصل صيانة هذه الأعضاء فمرجو أن يكف سائر أركانه ، ويكون قد قام بالتقوى الجامعة بجميع بدنه لله تعالى »[1] .

فإن قلت : كيف لى أن أصون الأعضاء الخمسة عن معصية الله عز

---

(١) مناهج العابدين (٧٦/٧٧) باختصار .

وجل ؟ وكيف أقيدها بطاعة الله ، فإن هذا لُبُّ السؤال وغاية الآمال والسبب الموصل إلى رحمة الكبير المتعال ؟ قلت : سوف أجمع لك من السطور ما يبين لى ولك الطريق ، والله ولى التوفيق ، وألخص ذلك فى خمسة أمور :

**١ - محبة الله عز وجل تغلب على قلب العبد يدع لها كل محبوب ويضحى فى سبيلها بكل مرغوب .**

**٢ - أن تستشعر فى قلبك مراقبة الله عز وجل وتستحى منه حق الحياء .**

**٣ - أن تعلم ما فى سبيل المعاصى والآثام من الشرور والآلام .**

**٤ - أن تتعلم كيف تغالب هواك وتطيع مولاك .**

**٥ - أن تدرس مكائد الشيطان ومصائده ، وأن تحذر من وساوسه ودسائسه .**

* * *

# ١ - محبة الله عز وجل

قال ابن القيم رحمه الله : « فالمحبة شجرة فى القلب ، عروقها الذل للمحبوب وساقها معرفته ، وأغصانها خشيته ، وورقها الحياء منه ، وثمرتها طاعته ، ومادتها التى تسقيها ذكره ، فمتى خلا الحبُّ عن شيء من ذلك كان ناقصاً »[١] .

وقال ابن رجب رحمه الله : « ومحبة الله سبحانه وتعالى على درجتين : إحداهما : فرض لازم ، وهى أن يحب الله سبحانه محبة توجب له محبة ما فرضه الله عليه ، وبغض ما حرمه عليه ، ومحبة لرسوله المبلغ عنه أمره ونهيه ، وتقديم محبته على النفوس والأهلين والرضا بما بلغه عن الله من الدين ، وتلقى ذلك بالرضى والتسليم ، ومحبة الأنبياء والرسل والمتبعين لهم بإحسان جملة وعموماً لله عز وجل ، وبغض الكفار والفجار جملة وعموماً لله عز وجل وهذا القدر لا بد منه فى تمام الإيمان الواجب ، ومن أخَلَّ بشيء منه فقد نقص من إيمانه الواجب بحسب ذلك ، قال الله عز وجل : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ [ النساء : ٦٥ ] وكذلك ينقص من محبته الواجبة بحسب ما أخل به من ذلك ، فإن المحبة الواجبة تقتضى فعل الواجبات وترك المحرمات » .

الدرجة الثانية : درجة السابقين المقربين ، وهى أن ترتقى المحبة إلى

---

(١) روضة المحبين (٤٠٩) - دار الصفا .

محبة ما يحبه من نوافل الطاعات ، وكراهة ما يكرهه من دقائق المكروهات ، وإلى الرضا بما يقدره ويقضيه مما يؤلم النفوس من المصائب ، وهذا فضل مستحب مندوب إليه وفى صحيح البخارى عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : يقول الله عز وجل : **« من عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلى عبدى بشيء أحبَّ إلَىّ مما افترضت عليه ، ولا يزال عبدى يتقرب إلَىّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، ولئن سألنى لأعطينه ، ولئن استعاذنى لأعيذنه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددى عن قبض نفس عبدى المؤمن ، يكره الموت وأنا أكره مساءته »**[1] .

قال ابن القيم رحمه الله : « ولو لم يكن فى المحبة إلا أنها تنجى محبه من عذابه ، لكان ينبغى للعبد أن لا يتعوض عنها بشيء أبداً . وسئل بعض العلماء أين تجد فى القرآن إن الحبيبَ لا يعذب حبيبه فقال : فى قوله تعالى : **﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللّهِ وَأَحِبَّاؤُه قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبكُمْ بِذُنُوبِكُمْ ﴾**[2] [ المائدة : ١٨ ] .

## ○ الأسباب الجالبة للمحبة :

١ - قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه .

٢ - التقرب إلى الله عز وجل بالنوافل بعد الفرائض .

(١) استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس (١١ - ١٥) باختصار ، والحديث رواه البخارى (٣٤١/١١) الرقاق ، وأبو نعيم فى الحلية (٤/١) ، وانظر طرق الحديث فى الصحيحة رقم (١٦٤٠) .

(٢) روضة المحبين (٤١٦) .

٣ – دوام ذكره بالقلب واللسان .
٤ – إيثار محابه على محابك عند غلبات الهوى .
٥ – مطالعة أسمائه وصفاته ، ومشاهدتها ، والتقلب فى رياض معانيها .
٦ – تذكر نعمه وإحسانه وبره على العبد ، فإن القلوب جبلت على محبة من أحسن إليها وبغض من أساء إليها .
٧ – الخلوة به وقت النزول الإلهى والإذن العام ، عند قوله عز وجل : هل من سائل .. هل من تائب .. هل من مستغفر[1] .
٨ – مجالسة المحبين الصادقين ، والتقاط أطايب ثمرات كلامهم .
٩ – مباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله من الشهوات والشبهات .
١٠ – التفكر فى مصنوعاته الدالة على كماله ، فإن القلوب مفطورة على محبة الكمال ، وكان السلف يفضلون التفكر على عبادة البدن .
١١ – تذكر ما ورد فى الكتاب والسنة من رؤية أهل الجنة لربهم وزيارتهم له واجتماعهم يوم المزيد .

ولا شك فى أن الاشتغال بهذه الأسباب الجالبة للمحبة مما يشغل القلب بطاعة الله ويبعده عن معصيته ، ثم إذا كملت المحبة فإن المحب لا يعصى محبوبه كما قيل :

تَعْصَى الإلَهَ وَأَنْتَ تَزْعُمُ حُبَّهُ     هَذَا لَعَمْرِى فِى القياس شنيعُ
لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقاً لأطعتهُ     إنَّ المُحِبَّ لمَنْ يحِبُّ مُطِيْع

وإذا فتح للعبد هذا الباب الشريف ، ودخلَ هذا القصر المنيف ، فإنه تحبب إليه الطاعات ويجد فيها منتهى راحته وسعادته ، قال النبى ﷺ :

(١) حديث النزول رواه البخارى (٤٦٤/١٣) التوحيد ، ومسلم (٣٨/٦ ، ٣٩) والترمذى (٣٠/١٣) الدعوات ، وأبو داود (١٣٠١) الصلاة .

« **وجعلت قُرَّة عينى فى الصلاة** »[1] وكان يصلى حتى ترم ساقاه وتشقق قدماه، فيقال له فى ذلك فيقول ﷺ : « **أفلا أكون عبداً شكوراً** »[2] فمحبة الله عز وجل من أعظم أسباب التقوى، كما قال القائل :

وَكُنْ لِرَبِّكَ ذَا حُبٍّ لِتَخْدِمَهُ    إنَّ المُحِبِّينَ لِلأَحْبَابِ خُدَّامُ

فإن المحب يسر بخدمة محبوبه وطاعته، ولا تطاوعه نفسه على مَعصيته كما قال بعض الصالحين : إنى لا أحسن أن أعصى الله . أى أن جوارحه لا تأتى معه فى المعصية، لمحبتها للطاعات، وبغضها للمعاصى، كما نصحت إحدى الصالحات من السلف بنيها فقالت لهم : « تعودوا حبَّ الله وطاعته، فإن المتقين أُلِفَت جوارحهم الطاعة فاستوحشت من غيرها، فإذا أمرهم الملعون بمعصية، مرت المعصية بهم محتشمة فهم لها منكرون » .

فنسأل الله الغنى الكريم أن يمن علينا بمحبته وأن يوفقنا لأسباب فضله ورحمته .

* * *

(١) رواه أحمد (١٢٨/٣) والنسائى (٦١/٧) عشرة النساء، والحاكم (١٦٠/٢) النكاح وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبى وصححه الألبانى فى الصحيحة رقم (١٨٠٩) .

(٢) رواه البخارى (١٤/٣) التهجد موصولاً عن المغيرة وبمعناه معلقاً عن عائشة، وابن ماجه (١٤١٩) .

**٢ - ومما يعين على تقوى الله عز وجل أن يدرب العبد نفسه على المراقبة وأن يستشعر اطلاع الله عز وجل عليه فيستحى عند ذلك من المعصية ، ويجتهد فى الطاعة ،**

قال الله تعالى : ﴿ **وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنتُم واللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴾
[ الحديد : ٤ ]

قال ابن كثير رحمه الله : أى رقيب عليكم شهيد على أعمالكم حيث كنتم ، وأين كنتم ، من بر أو بحرٍ ، فى ليل أو نهار ، فى البيوت أو فى القفار ، الجميع فى علمه على السواء ، وتحت بصره وسمعه ، فيسمع كلامكم ، ويرى مكانكم ، ويعلم سركم ونجواكم[1] .

وقال تعالى : ﴿ **أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِيْنَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيْمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ** ﴾
[ هود : ٥ ] .

قال الشنقيطى رحمه الله :

يبين الله تعالى فى هذه الآية الكريمة أنه لا يخفى عليه شيء ، وأن السر كالعلانية عنده ، فهو عالم بما تنطوى عليه الضمائر وما يُعلن وما يُسَرّ ، والآيات المبينة لهذا كثيرة جداً ، كقوله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيْدِ** ﴾ [ ق : ١٦ ]
وقوله جل وعلا : ﴿ **وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوه** ﴾

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/٣٠٤) .

[ البقرة : ٢٣٥ ] وقوله : ﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴾ [ الأعراف : ٧ ] وقوله : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيه ، وَمَا يَعْزُبُ عَن رَبِّكَ مِن مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى الْأَرْضِ وَلَا فِى السَّماءِ ﴾ الآية [ يونس : ٦١ ] ولا تقلب ورقة من المصحف الكريم إلا وجدت فيها آية بهذا المعنى .

ثم قال تحت عنوان « تنبيه هام » :

اعلم أن الله تبارك وتعالى ما أنزل من السماء إلى الأرض واعظاً أكبر ولا زاجراً أعظم مما تضمنته هذه الآيات الكريمة وأمثالها فى القرآن ، من أنه تعالى عالم بكل ما يعمله خلقه ، رقيب عليهم ، ليس بغائب عما يفعلون ، وضرب العلماء لهذا الواعظ الأكبر والزاجر الأعظم مثلاً ليصير به كالمحسوس فقالوا : لو فرضنا أن ملكاً قتّالاً للرجال سفاكاً للدماء ، شديد البطش والنكال على من انتهك حرمته ظلماً ، وسَيَّافُهُ قائم على رأسه ، والنطع مبسوط للقتل ، والسيف يقطر دماً ، وحول هذا الملك الذى هذه صفته جواريه وأزواجه وبناته ، فهل ترى أن أحداً من الحاضرين يهتم بريبة أو بحرام يناله من بنات ذلك الملك وأزواجه ، وهو ينظر إليه ، عالم بأنه مطلعٌ عليه ؟ لا وكلا ، بل جميع الحاضرين يكونون خائفين ، وجلة قلوبهم ، خاشعة عيونهم ، ساكنة جوارحهم ، خوفاً من بطش ذلك الملك .

ولا شك ولله المثل الأعلى ، أن رب السماوات والأرض جل وعلا أشد علماً ، وأعظم مراقبة ، وأشد بطشاً ، وأعظم نكالا وعقوبة من ذلك الملك ، وحماه فى أرضه محارمه ، فإذا لاحظ الإنسان الضعيف أن ربه جل وعلا ليس بغائب عنه ، وأنه مطلع على ما يقول وما يفعل وما ينوى ، لان

قلبه ، وخشى الله تعالى ، وأحسن عمله لله جل وعلا[1] .

وقد دلت الأحاديث الشريفة على ما دلت عليه هذه الآيات الكريمات من وجوب مراقبة الله تعالى ، والاستحياء منه حق الحياء .

عن ابن مسعود رضى الله عنه : قال رسول الله ﷺ : « **استحيوا من الله حق الحياء ، من استحيا من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى ، وليحفظ البطن وما حوى ، وليذكر الموت والبِلا ، ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا ، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء** »[2] .

قال المناوى فى الفيض : « استحيوا من الله حق الحياء » بترك الشهوات والنهمات ، وتحمل المكاره على النفس حتى تصير مدبوغة ، فعندها تطهر الأخلاق ، وتشرق أنوار الأسماء فى صدر العبد ، ويقرر علمه بالله فيعيش غنياً بالله ما عاش .

قال البيضاوى : ليس حق الحياء من الله ما تحسبونه ، بل أن يحفظ نفسه بجميع جوارحه عما لا يرضاه من فعل وقول .

وقال سفيان بن عيينة : الحياء أخف التقوى ، ولا يخاف العبد حتى يستحى ، وهل دخل أهل التقوى فى التقوى إلا من الحياء .

« من استحيا من الله حق الحياء فليحفظ الرأس » أى : رأسه « وما وعى » : ما جمعه من الحواس الظاهرة والباطنة ، حتى لا يستعملها إلا فيما

---

(١) أضواء البيان : (٩/٣ ، ١٠) .

(٢) رواه الترمذى ( ٢٨١/٩) القيامة ، والحاكم (٣٢٣/٤) الرقاق وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبى ، وحسنه الألبانى .

يحل « وليحفظ البطن وما حوى » أى : وما جمعه الجوف باتصاله به من القلب والفرج واليدين والرجلين ، فإن هذه الأعضاء متصلة بالجوف فلا يستعمل منها شيئاً فى معصية الله ، فإن الله ناظر فى الأحوال كلها إلى العبد لا يواريه شيء[1] .

وعن أسامة بن شريك رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : **« ما كرهت أن يراه الناس منك فلا تفعله بنفسك إذا خلوت »**[2] .

وعن ثوبان رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **« لأعلمن أقواماً من أمتى يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضاء فيجعلها الله هباءً منثوراً ، أما إنهم إخوانكم ، ومن جلدتكم ، ويأخذون من الليل كما تأخذون ، ولكنهم قوم إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها »**[3] .

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **« ثلاثٌ مهلكاتٌ وثلاث منجياتٌ ، فقال : ثلاث مهلكات : شحٌّ مطاعٌ ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه ، وثلاث منجيات : خشية الله فى السر والعلانية ، والقصد فى الفقر والغنى ، والعدل فى الغضب والرضا »**[4] .

---

(١) فيض القدير (٤٨٨/١) .

(٢) رواه ابن حبان فى روضة العقلاء : (١٢ - ١٣) ، والضياء فى المختارة (٤٤٩/١) قال الألبانى : والإسناد ضعيف قال : ثم وجدت للحديث شاهداً مرسلاً فى (جامع ابن وهب) (ص ٦٥) فالحديث به حسن إن شاء الله الصحيحه (١٠٥٥) .

(٣) رواه ابن ماجه (٤٢٤٥) الزهد وصححه الألبانى فى الصحيحه رقم (٥٠٥) .

(٤) رواه البزار رقم (٨٠) ، والعقيلى (ص ٣٥٢) وأبو بكر الدينورى فى «المجالسة وجواهر العلم والسياق له وأبو نعيم (٣٤٣/٢) وله طرق هو بمجموعها حسن ، باختصار من الصحيحة (١٨٠٢) .

قال المناوى : « قدم السر لأن تقوى الله فيه أعلى درجة من العلن لما يخاف من شوب رؤية الناس ، وهذه درجة المراقبة ، وخشيته فيهما تمنع من ارتكاب كل منهى ، وتحثه على فعل كل مأمور ، فإن حصل للعبد غفلة عن ملاحظة خوفه وتقواه فارتكب مخالفة مولاه لجأ إلى التوبة ثم داوم الخشية »[1] .

وسئل النبى ﷺ عن الإحسان فى الحديث المسمى بأم السنة فقال ﷺ : « **أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك** »[2] .

قال النووى رحمه الله : « هذا من جوامع الكلم التى أوتيها ﷺ ، لأنا لو قدرنا أن أحداً قام فى عبادة وهو يعاين ربه سبحانه وتعالى ، لم يترك شيئاً مما يقدر عليه من الخضوع والخشوع وحسن السمت واجتماعه بظاهره وباطنه على الاعتناء بتتميمها على أحسن وجوهها إلا أتى به ، فقال ﷺ : اعبد الله فى جميع أحوالك كعبادتك فى حال العيان ، فإن التتميم المذكور فى حال العيان إنما كان لعلم العبد باطلاع الله سبحانه وتعالى عليه ، فلا يقدم العبد على تقصير فى هذا الحال للاطلاع عليه ، وهذا المعنى موجود مع عدم رؤية العبد ، فينبغى أن يعمل بمقتضاه ، فمقصود الكلام الحث على الإخلاص فى العبادة ومراقبة العبد ربه تبارك وتعالى فى إتمام الخشوع والخضوع وغير ذلك ، وقد ندب أهل الحقائق إلى مجالسة الصالحين ليكون ذلك مانعاً من تلبسه بشىء من النقائص احتراماً لهم واستحياءً منهم ، فكيف بمن لا يزال الله مطلعاً عليه فى سره وعلانيته[3] .

---

(١) فيض القدير (٣٠٧/٣) .

(٢) رواه البخارى (١١٤/١) الإيمان ، مسلم (١٥٧/١ ، ١٥٨) الإيمان ، والترمذى (٧٧/١٠، ٧٨) الإيمان ، وأبو داود (٤٦٧٠) السنة ، والنسائى (٩٧/٨) الإيمان .

(٣) شرح النووى على صحيح مسلم (١٥٧/١ ، ١٥٨) .

وقال ابن رجب رحمه الله :

يشير إلى أن العبد يعبد الله تعالى على هذه الصفة وهو استحضار قربه ، وأنه بين يديه كأنه يراه ، وذلك يوجب الخشية والهيبة والتعظيم ، كما جاء فى رواية أبى هريرة : « **أن تخشى الله كأنك تراه** » ويوجب أيضاً النصح فى العبادة وبذل الجهد فى تحسينها وإتمامها وإكمالها ، وقد وصى النبى ﷺ جماعة من الصحابة بهذه الوصية .

وقوله ﷺ : « **فإن لم تكن تراه فإنه يراك** » قيل : إنه تعليل للأول ؛ فإن العبد إذا أمر بمراقبة الله تعالى فى العبادة واستحضار قربه من عبده حتى كأن العبد يراه فإنه قد يشق ذلك عليه ، فيستعين على ذلك بإيمانه بأن الله يراه ويطلع على سره وعلانيته وباطنه وظاهره ، ولا يخفى عليه شىء من أمره فإذا تحقق هذا المقام سهل عليه الانتقال إلى المقام الثانى ، وهو دوام التحقق بالبصيرة إلى قرب الله من عبده ومعيته حتى كأنه يراه ، وقيل : بل هو إشارة إلى أن من شق عليه أن يعبد الله كأنه يراه فليعبد الله على أن الله يراه ويطلع عليه فليستحى من نظره إليه ، كما قال بعض العارفين : اتق الله أن يكون أهون الناظرين إليك ، وقال بعضهم : خف الله على قدر قدرته عليك ، واستحى من الله على قدر قربه منك[1] .

وصفوة الكلام أن يقال مما يعين على التقوى التدرب على مراقبة الله عز وجل وإحساس القلب بقربه واطلاعه ، فيستحى العبد عند ذلك من المعصية ويبذل جهده فى أداء الطاعة على أحسن وجوهها ، وهذه بعض الآثار فى تقرير هذا المعنى :

---

(١) جامع العلوم (٣٣ ، ٣٤) باختصار

ذكر عن أعرابى قال : خرجت فى بعض ليالى الظلم فإذا أنا بجارية كأنها عَلَمٌ ،[1] فأردتها عن نفسها فقالت : ويلك أما كان لك زاجرٌ من عقل إذا لم يكن لك ناهٍ من دين ؟ فقلت : إنه والله ما يرانا إلا الكواكب ، قالت : فأين مُكَوكبها .

وسئل الجنيد بم يستعان على غض البصر ؟ قال : بعلمك أن نظر الله إليك أسبق إلى ما تنظره .

وقال الحارث المحاسبى : المراقبة علم القلب بقرب الرب .

وكان الإمام أحمد ينشد :

إِذَا مَا خَلَوْتَ الدَّهْرَ يَوماً فَلا تَقُلْ ... خَلَوْتُ وَلَكِن قُلْ عَلَىَّ رَقِيْبُ
وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ يَغْفَلُ سَاعَةً ... وَلَا أَنَّ مَا يَخْفَى عَلَيْهِ يَغِيبُ

* * *

(١) علم : أى جَبَلٌ .

## ٣ - ومما يعين على التقوى معرفة ما فى سبيل الحرام من المفاسد والآلام

فليس فى الدنيا والآخرة شرٌّ وداءٌ إلا وسببه الذنوب والمعاصى ، قال ابن القيم رحمه الله : « فما الذى أخرج الأبوين من الجنة دار اللذة والنعيم والبهجة والسرور إلى دار الآلام والأحزان والمصائب .

وما الذى أخرج إبليس من ملكوت السماء ، وطرده ولعنه ومسخ ظاهره وباطنه فجعلت صورته أقبح صورة وأشنعها ، وباطنه أقبح من صورته وأشنع وبُدِّلَ بالقرب بعداً ، وبالرحمة لعنة ، وبالجنة ناراً تلظى ، فهان على الله غاية الهوان ، وسقط من عينه غاية السقوط ، فصار قَوَّاداً لكل فاسق ومجرم ، رضى لنفسه بالقيادة بعد تلك العبادة والسيادة ، فعياذاً بك اللهم من مخالفة أمرك ، وارتكاب نهيك .

وما الذى أغرق أهل الأرض كلهم حتى علا الماء فوق رؤوس الجبال . وما الذى سلط الريح العقيم على قوم عاد حتى ألقتهم موتى على سطح الأرض كأنهم أعجاز نخلٍ خاوية ، ودمرت ما مرت عليه من ديارهم وحروثهم ، وما الذى أرسل على قوم ثمود الصيحة حتى قطعت قلوبهم فى أجوافهم وماتوا عن آخرهم ؟ وما الذى رفع قرى اللوطية حتى سمعت الملائكة نبيح كلابهم ثم قلبها عليهم ، فجعل عاليها سافلها ، ثم أتبعهم حجارة من سجيل ، فجمع عليهم من العقوبة مالم يجمعه على أمة غيرهم ، ولإخوانهم أمثالها وما هى من الظالمين ببعيد ، وما الذى أرسل على قوم شعيب سحاب

العذاب كالظلل ، فلما صار فوق رؤوسهم أمطر عليهم ناراً تلظى ؟ وما الذى أغرق فرعون وقومه فى البحر ، ثم نقلت أرواحهم إلى جهنم ، فالأجساد للغرق ، والأرواح للحرق ، وما الذى أهلك القرون من بعد نوح ودمرها تدميراً»[1] .

ثم ذكر رحمه الله آثار الذنوب والمعاصى فلتراجع فإنها مفيدة جداً فى الزجر عن معصية الله والمباعدة عنها ، وهى التقوى المقصودة والدرة المفقودة ، نسأل الله السلامة ، ونعوذ به من الحسرة والندامة ، فحقيق بكل عاقل أن لا يسلك طريقاً حتى يعلم سلامتها وآفاتها ، وما توصل إليه من سلامة أو عطب ، ولا شك أن سبيل المعاصى فيه من التعرض للعذاب العاجل والآجل وضيق الصدر والرزق وبغض الخلق ومحق البركة فهى كطعام لذيذ مسموم يتمتع به لحظات وتبقى آلامه فى الحياة وبعد الممات كما قال القائل :

تفنى اللذاذة ممن نَال لَذَّتَهَا مِنَ الحَرَامِ وَيَبْقَى الإثمُ والعارُ
تَبْقَى عَوَاقِبُ سُوءٍ مِن مَغَبَّتها لَا خَيرَ فِى لَذَّةٍ مِن بعدِهَا النَّارُ

* * *

(١) الجواب الكافى باختصار (٤٢ ، ٤٣) دار عمر بن الخطاب .

# ٤ - ومما يعين على التقوى أن تتعلم كيف تغالب هواك وتطيع مولاك

قال الشيخ مصطفى السباعى رحمه الله : « إذا همت نفسك بالمعصية فذكرها بالله ، فإذا لم ترجع فذكرها بأخلاق الرجال ، فإذا لم ترجع فذكرها بالفضيحة إذا علم بها الناس ، فإذا لم ترجع فاعلم أنك تلك الساعة انقلبت إلى حيوان »[١] .

وقال ابن القيم رحمه الله : « وملاك الأمر كله الرغبة فى الله وإرادة وجهه والتقرب إليه بأنواع الوسائل والشوق إلى الوصول إليه ، وإلى لقائه ، فإن لم يكن للعبد همة على ذلك فالرغبة فى الجنة ونعيمها وما أعد الله فيها لأوليائه ، فإن لم تكن له همة عالية تطالبه بذلك ، فخشية النار وما أعد الله فيها لمن عصاه ، فإن لم تطاوعه نفسه لشىء من ذلك ، فليعلم أنه خلق للجحيم لا للنعيم ، ولا يقدر على ذلك بعد قدر الله وتوفيقه إلا بمخالفة هواه .

فلم يجعل الله طريقاً إلى الجنة غير مخالفته ، ولم يجعل للنار طريقاً غير متابعته ، قال الله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ [ النازعات : ٣٧ - ٤١ ]

وقال تعالى : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾ [ الرحمن : ٤٦ ] قيل :

---

(١) علمتنى الحياة (٣٢) نقلاً عن هامش رسالة المسترشدين للمحاسبى (١٦٠) بتحقيق وتعليق عبد الفتاح أبو غدة .

هو العبد يهوى المعصية فيذكر مقام ربه عليه فى الدنيا ومقامه بين يديه فى الآخرة فيتركها لله .

وقد أخبر الله عز وجل أن اتباع الهوى يضل عن سبيله فقال الله تعالى : ﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللّهِ ﴾[1] . [ ص : ٢٦ ]

وقد حكم الله تعالى لتابع هواه بغير هدى من الله أنه أظلم الظالمين فقال الله عز وجل : ﴿ فَإِنْ لَم يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَم أَنَّمَا يَتَّبِعُون أَهْوَاءَهُمْ وَمَن أَضَلُّ مِمَّن اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيرِ هُدًى مِنَ اللّهِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِى القَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [ القصص : ٥٠ ]

وجعل سبحانه المتَّبعَ قسمين لا ثالث لهما : إما ما جاء به الرسول ﷺ وإما الهوى : فمن اتبع أحدهما لم يمكنه اتباع الآخر »[2].

وقال ابن الجوزى رحمه الله : « الحذرَ الحذرَ من المعاصى فإنها سيئة العواقب ، والحذر من الذنوب خصوصاً ذنوب الخلوات ، فإن المبارزة لله تعالى تسقط العبد من عينه سبحانه ، ولا ينال لذة المعاصى إلا دائم الغفلة ، فأما المؤمن اليقظان فإنه لا يلتذ بها ، لأنه عند التذاذه يقف بإزائه علمه بتحريمها ، وحذره من عقوبتها ، فإن قويت معرفته رأى بعين علمه قرب الناهى – وهو الله – فيتنغص عيشه فى حال التذاذه ، فإن غلبه سكر الهوى كان القلب متنغصاً بهذه المراقبات ، وإن كان الطبع فى شهوته فما هى إلا لحظة ثم خزىٌ دائمٌ وندمٌ ملازم وبكاءٌ متواصل وأسف على ما كان مع طول

(١) روضة المحبين (٤٠١ – ٤٠٢) باختصار .

(٢) السابق (٤٠٤) .

الزمان ، حتى لو تيقن العفو وقف بإزائه حذر العتاب .

فأفٍ للذنوب ! ما أقبح آثارها ؟ وأسوأ أخبارها ؟ ولا كانت شهوة لا تنال إلا بمقدار قوة الغفلة »[1].

وقال ابن القيم رحمه الله : « واعلم أن الصبر عن الشهوة أسهل من الصبر على ما توجبه الشهوة ، فإن الشهوة إما أن توجب ألماً وعقوبة ، وإما أن تقطع لذة أكمل منها ، وإما أن تضيع وقتاً إضاعته حسرةٌ وندامةٌ ، وإما أن تثلم عِرضا توفيره أنفع للعبد من ثلمه ، وإما أن تذهب مالاً بقاؤه خير من ذهابه ، وإما أن تضع قدراً قيامه خير من وضعه ، وإما أن تسلب نعمةً بقاؤها أَلَذُّ وأطيب من قضاء الشهوة »[2].

وخلاصة هذا الفصل أن للناس فى ترك المعاصى والتورع عنها دوافعَ متعددة :

* منهم من يدفعه عن المعصية محبة الله عز وجل وإجلاله أن يخالف أمره ويرتكب نهيه كما قال بعضهم : وددت أن جلدى قرض بالمقارض وأن هؤلاء الخلق أطاعوا الله عز وجل ، وهذه أعلى مراتب الخشية وأغلى دوافع التقوى .

* ومن الناس من يدفعه عن المعصية الرغبة فى دار القرار وما فيها من نعيم مقيم للأبرار ، قال النبى ﷺ : « **من شرب الخمر فى الدنيا لم يشربها فى الآخرة إلا أن يتوب** »[3] .

---

(١) صيد الخاطر (١٢٩) بتصرف .

(٢) الفوائد (١٨٢- ١٨٣) دار الدعوة .

(٣) رواه مسلم (١٧٣/١٣) الأشربة بهذا اللفظ ، والبخارى (٣٠/١٠) الأشربة ومالك فى الموطأ (٨٤٦/٢) الأشربة ، وأبو داود (٣٦٦٢) الأشربة والترمذى (٤٨/٨) الأشربة والنسائى (٣١٨/٨ ) الأشربة .

فالتمتع بالحرام فى دار الفناء سبب للحرمان من النعيم المقيم فى دار البقاء ، فلن يجعل الله من أذهب طيباته فى حياته الدنيا واستمتع بها كمن صام عنها ليوم فطره من الدنيا إذا لقى الله عز وجل ، قال بعضهم :

أَنتَ فى دَارِ شَتَـاتٍ     فَتَـأَهَّبْ لِشَتَـاتِك
وَاجْعَل الدُّنْيَا كَيَومٍ     صُمْتَهُ عَنْ شَهَـوَاتِك
وَاجْعَل الفِطْرَ عِنْدَ الله     فِـى يَـوْمِ وَفَـاتِك

قال الخطابى : معناه لم يدخل الجنة ، لأن الخمر من شراب أهل الجنة [ جامع الأصول : ٩٩/٥ ] .

وقال النووى : معناه أنه يحرم شربها فى الجنة وإن دخلها فإنها من فاخر شراب الجنة فيمنعها هذا العاصى بشربها فى الدنيا ، قيل : إنه ينسى شهوتها لأن الجنة فيها كل ما يشتهى ، وقيل : لا يشتهيها وإن ذكرها ويكون هذا نقص نعيم فى حقه تمييزاً بينه وبين تارك شربها - النووى على صحيح مسلم [ ١٧٣/١٣ ] .

* ومنهم من يتركها خوفاً من النار واتقاء غضب الجبار . قال بعضهم :

إِذَا مَا هَمَمْنَا صَدَّنَا وَازِعُ التُّقَى     فَوَلى عَلَى أَعْقَابِه الهَمُّ خَاسِئاً

وقال آخر :

لَا خَيْرَ فِيْمَنْ لَا يُرَاقِبُ رَبَّهُ     عِنْدَ الهَـوَى وَيَخَافُـهُ إِيْمَانَـا
حَجَبَ التُّقَى سُبُلَ الْهَوَى فَأَخُو التُّقَى     يخْشَى إِذَا وَافَى المَعَادَ. هَوَاناً

* ومنهم من يتركها خوف العار والشنار[1] ، واستبقاء الحياء والوقار كما قال بعضهم :

مَا إنْ دَعَانِي الهَوَى لِفَاحشةٍ إلّا نَهَانى الحَيَـاءُ وَالكَـرَمُ
فَلَا إلَى فَاحِشٍ مَدَدْتُ يَدِى وَلا مَشَتْ بِى لِرِيْبَةٍ قَـدَمُ

* ومنهم من يترك المعصية لما يعقبها من شرور ومصائب وآلام كما قال بعضهم :

وَكَمْ مِنْ مَعَاصٍ نَالَ مِنْهُنَّ لَذَّةً وَمَاتَ فَخَلَّاهَا وَذَاقَ الدَّوَاهِيَا
تَصَرَّمُ لَذَّاتُ المَعَاصِى وتَنْقضِى وَتَبْقَى تَبَاعَاتُ المَعَاصِى كَمَا هِيَا
فَيَا سَوْءَتَا وَاللهِ رَاءٍ وَسَامِعٌ لِعَبْدٍ بعيْنِ اللهِ يَغْشَى المَعَاصِيَا

* ومنهم من يحمله على ترك المعاصى لذة العفة والاستعلاء عن اتباع الهوى فإن لذلك حلاوة فى القلوب لا يعرفها إلا من ذاقها .

كما قال بعضهم :

وَإنِّى لَمُشتَاقٌ إلَى كلِّ غَايَةٍ مِنَ الْمَجْدِ يَكْبُو دُونَهَا المُتَطَاوِلُ
بَذُولٌ لِمَالِى حِيْنَ يَبْخَلُ ذُو النُّهَى عَفِيْفٌ عَنِ الفَحْشَاءِ قَرْمٌ حَلَاحِلُ[2]

* ومنهم من يتركها لأنها تنافى المروءة والشهامة كما قال عنترة وهو من شعراء العصر الجاهلى لم يسمع قول الله عز وجل : ﴿ **قُلْ لِلْمُؤمِنِيْنَ يَغُضُّوا مِن أَبْصَارِهِمْ** ﴾ [ النور : ٣٠ ]

* وَأَغُضُّ طَرْفِى إنْ بَدَتْ لِى جَارَتِى حَتَّى يُوَارِى جَارَتِى مَأْوَاهَا

(١) الشنار هو أقبح العيب .
(٢) القرم : السيد المعظم والحلاحل السيد فى عشيرته .

* ومنهم من يتركها استحياءً من الناس ولا يخشى الله عز وجل وهذه أدنى المراتب .

كما قال بعضهم :

لَم يَكُن شَأْنِي العَفَافُ وَلكِنْ كُنْتُ خِلًّا لِزَوْجِهَا فَاسْتَحْيَيْتُ

* * *

## ٥ - ومما يعين على تقوى الله عز وجل معرفة مكائد الشيطان ومصائده ، والحذر من وساوسه ودسائسه

قال العلامة ابن مفلح المقدسى رحمه الله : « اعلم أن الشيطان يقف للمؤمنين فى سبع عقبات ، عقبة الكفر ، فإن سلم منه ففى عقبة البدعة ، ثم فى عقبة فعل الكبائر ، ثم فى عقبة فعل الصغائر ، فإن سلم منه ففى عقبة فعل المباحات فيشغله بها عن الطاعات ، فإن غلبه شغله بالأعمال المفضولة عن الأعمال الفاضلة ، فإن سلم من ذلك وقف له فى العقبة السابعة ، ولا يسلم منها المؤمن إذ لو سلم منها أحدٌ لسلم منها رسول الله ﷺ ، وهى تسليط الأعداء الفجرة بأنواع الأذى[1] .

فلا شك أن معرفة العقبات التى يقف عندها الشيطان ، ومعرفة مداخله إلى قلب ابن آدم مما يعين على الحذر منه ، وأولى من ذلك بالذكر أن تعرف أن الشيطان عدوٌ لبنى آدم فلا يمكن أن يأمره بخير أو ينهاه عن شر .

قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ** ﴾ [ فاطر : ٦ ] .

وقال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ** ﴾ [ النور : ٢١ ]

---

(١) مصائب الإنسان من مكائد الشيطان (٦٩) باختصار ، وذكر ابن القيم رحمه الله هذه العقبات السبع فى تفسير المعوذتين بأطول من ذلك فليراجعه من أراد زيادة التفصيل (٧٣ - ٧٦) .

قال أبو الفرج ابن الجوزى : « إنما يدخل إبليس على الناس بقدر ما يمكنه ، ويزيد تمكنه منهم ويقل على مقدار يقظتهم وغفلتهم وجهلهم وعلمهم ، واعلم أن القلب كالحصن ، وعلى ذلك الحصن سور ، وللسور أبواب ، وفيه ثُلَم[1] ، وساكنه العقل ، والملائكة تتردد إلى الحصن ، وإلى جانبه ربضٌ[2] فيه الهوى ، والشياطين تختلف إلى ذلك الربض من غير مانع ، والحارس قائم بين أهل الحصن وأهل الربض ، والشياطين لا تزال تدور حول الحصن تطلب غفلة الحارس والعبور من بعض الثلم ، فينبغى للحارس أن يعرف جميع أبواب الحصن الذى قد وكِّلَ بحفظه وجميع الثلم ، وأن لا يفتر عن الحراسة لحظة فإن العدو ما يفتر ، قال رجل للحسن البصرى : أينام إبليس ؟ قال : لو نام لوجدنا راحة ، وهذا الحصن مستنير بالذكر مشرق بالإيمان ، وفيه مرآة صقيلة يتراءى فيها صور كل ما يمر به ، فأول ما يفعل الشيطان فى الربض إكثار الدخان فتسود حيطان الحصن وتصدأ المرآة ، وكمال الفكر يرد الدخان ، وصقل الذكر يجلو المرآة ، وللعدو حملات فتارة يحمل فيدخل الحصن فيكر عليه الحارس فيخرج ، وربما دخل فعَاثَ[3] ، وربما أقام لغفلة الحارس ، وربما ركدت الريح الطاردة للدخان فتسود حيطان الحصن وتصدأ المرآة فيمر الشيطان ولا يدرى به ، وربما جرح الحارس لغفلته وأسر واستُخدِم[4] .

واعلم أن أول ما يغوى به الشيطان ابن آدم الوساوس التى يوسوس بها إليه ، كما قال تعالى آمراً بالاستعاذة بالله عز وجل من وساوسه : ﴿ قُلْ

(١) جمع ثلمة وهى موضع الكسر من القدح .

(٢) المكان الذى يؤوى إليه .

(٣) عَاثَ : أى أفسد .

(٤) تلبيس إبليس (٣٧ - ٣٨) باختصار مكتبة المتنبى .

أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلٰهِ النَّاسِ مِن شَرِّ الوَسْوَاسِ الخَنَّاسِ الَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ النَّاسِ مِنَ الجِنَّةِ والنَّاسِ ﴾ [ سورة الناس ]

فإذا غفل القلب عَن ذكر الله عز وجل جثم عليه الشيطان وأخذ يوسوس إليه بالذنوب والمعاصى ، فإذا ذكر الله عز وجل واستعاذ به انخنس الشيطان وانقبض ، وإذا كره ما وسوس به فإن ذلك محض الإيمان ، عن أبى هريرة قال : جاء ناسٌ من أصحاب النبى ﷺ فسألوه : إنا نجد فى أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به ، قال : « **وقد وجدتموه ؟** » قالوا : نعم قال : « **ذلك صريح الإيمان** »[1] .

قال ابن القيم رحمه الله : « الوسوسة هي مبادىء الإرادة ، فإن القلب يكون فارغاً من الشر والمعصية فيوسوس إليه ويخطر الذنب بباله فيصوره لنفسه ويمنيه ويشهيه فيصير شهوة ، ويزينها له ويحسنها ويخيلها له فى خيال تميل نفسه إليه فتصير إرادة ، ثم لا يزال يمثل ويخيل ويمنى ويشهى وينسى علمه بضررها ويطوى عنه سوء عاقبتها فيحول بينه وبين مطالعته ، فلا يرى إلا صورة المعصية والتذاذه بها فقط ، وينسى ما وراء ذلك فتصير الإرادة عزيمة جازمة ، فيشتد الحرص عليها من القلب ، فيبعث الجنود فى الطلب ، فيبعث الشيطان معهم مدداً لهم وعوناً ، فإن فتروا حركهم ، وإن وَنَوا أزعجهم كما قال تعالى : ﴿ **أَلَم تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِيْنَ عَلَى الكَافِرِيْنَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا** ﴾ [ مريم : ٨٣ ]

---

(١) رواه مسلم (١٥٣/١) الإيمان قال النووى رحمه الله : معناه استعظامكم الكلام به هو صريح الإيمان فإن استعظام هذا وشدة الخوف منه ومن النطق به فضلاً عن اعتقاده إنما يكون لمن استكمل الإيمان استكمالاً محققاً وانتفت عنه الريبة والشكوك – النووى على صحيح مسلم (١٥٤/١) .

أى تزعجهم إلى المعاصى إزعاجاً كلما فتروا أو ونوا أزعجتهم الشياطين وأزّتهم وأثارتهم ، فلا تزال بالعبد تقوده إلى الذنب ، وتنظم شمل الاجتماع بألطف حيلة وأتم مكيدة .

فأصل كل معصية وبلاء إنما هو الوسوسة[1]:

فمهما كان العبد مشغولاً بالطاعات وذكر الله عز وجل فإنه لا يكون عند ذلك مَحِلًّا للوساوس فإذا غفل عن الذكر والطاعة وسوس إليه الشيطان بالمعاصى كما قال ابن القيم رحمه الله : إذا غفل القلب ساعة عن ذكر الله جثم عليه الشيطان وأخذ يَعِدُهُ ويمنيه .

وأختم هذا الفصل بما يستعان به من طاعة الرحمن الرحيم حتى يحفظ العبد نفسه من وساوس الشياطين :

١ – الاستعاذة بالله قال الله تعالى : ﴿ **وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾ [ الإسراء : ٣٦ ]

وعن سليمان بنَ صُرَدٍ قال : كنت جالساً مع النبى ﷺ ورجلان يستبان فأحدهما احْمَرَّ وجهه وانتفخت أوداجه ، فقال النبى ﷺ : « **إنى لأعلم كلمة لو قالها ذهب عنه ما يجد لو قال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ذهب عنه ما يجد** » الحديث[2] .

---

(١) تفسير المعوذتين لابن القيم (٧١) باختصار وتصرف – السلفية .

(٢) رواه البخارى (١٠/ ٥١٨ . ٥١٩) الأدب ، ومسلم (١٦/١٦٣) البر والصلة ، وأبو داود (٤٧٥٩) الأدب ، قال ابن كثير رحمه الله : ومن لطائف الاستعاذة أنها طهارة للفم مما كان يتعاطاه من اللغو والرفث وتطييب له وهو لتلاوة القرآن وهى استعانة بالله عز وجل واعتراف له بالقدرة وللعبد بالضعف والعجز عن مقاومة هذا العدو المبين الباطن الذى لا يقدر على منعه ودفعه إلا الله الذى خلقه ولا يقبل ممانعة ولا يدارى بإحسان بخلاف العدو من نوع الإنسان كما دلت على ذلك آيات من القرآن (١/٥٠) التفسير .

٢ – قراءة المعوذات فقد قال النبى ﷺ : « **لم يتعوذ الناس بمثلهن** »[١] .

٣ – قراءة آية الكرسى عند النوم كما فى حديث أبى هريرة فمن قرأها عند نومه لا يزال عليه من الله حافظ فلا يقربه شيطان .

٤ – قراءة سورة البقرة قال النبى ﷺ : « **إن البيت الذى تقرأ فيه سورة البقرة لا يدخله الشيطان** »[٢] .

٥ – خاتمة سورة البقرة عن أبى مسعود الأنصارى قال : قال رسول الله ﷺ : « **من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه** »[٣] .

٦ – « لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كُلِّ شيء قدير » مائة مرة من قرأها فى يوم كانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى .

٧ – كثرة ذكر الله عز وجل فما أحرز العبد نفسه من الشيطان بمثل ذكر الله عز وجل .

٨ – الوضوء والصلاة قال ابن القيم : وهذا أمر تجربته تغنى عن إقامة الدليل عليه .

٩ – إمساك فضول النظر والكلام والطعام ومخالطة الناس ، فإن الشيطان إنما يتسلط على ابن آدم وينال منه غرضه من هذه الأبواب الأربعة[٤] .

---

(١) رواه النسائى (٨/٢٥١) الاستعاذة : وأحمد بمعناه (٣/٤١٧) وصححه الألبانى .

(٢) رواه مسلم (٦/٦٨) صلاة المسافرين بلفظ : إن الشيطان يفر من البيت الذى تقرأ فيه سورة البقرة ، والترمذى (١١/١٠) ثواب القرآن بلفظه .

(٣) رواه البخارى (٩/٥٠) فضائل القرآن ، ومسلم (٦/٩١،٩٢) صلاة المسافرين والترمذى (١٠/١٢) ثواب القرآن ، وأبو داود (١٣٨٤) الصلاة .

(٤) تفسير المعوذتين باختصار (٨٢-٨٦) وانظر البحر الرائق للمصنف .

## ☐ صفات المتقين ☐

وبعد أن ذكرنا معنى التقوى وشرفها وطريق الوصول إليها ، نرى من المفيد كذلك أن نتعَرَّف على أصحاب هذه الرتب العَلِيَّةِ ، والدرجات السَّنِيَّة ، حتى لا تدَّعيها النفوس وهى عارية منها ، وقد يكون العلم بها مما يشحذ الهمم فى طلبها ، وبذل نفائس الأنفاس فى خِطبتها وَقِرانها .

يقول ابن القيم رحمه الله :

وأما السابقون المقربون فنستغفر الله الذى لا إله إلا هو أولاً من وصف حالهم وعدم الاتصاف به ، بل ما شممنا له رائحة ، ولكن محبة القوم تحمل على تعرف منزلتهم والعلم بها ، وإن كانت النفوس متخلفة منقطعة عن اللحاق بهم ، ففى معرفة حال القوم فوائد عديدة : منها أن لا يزال المتخلف المسكين مزرياً على نفسه ذَامًّا لها ، ومنها أن لا يزال منكسر القلب بين يدى ربه تعالى ذليلاً له حقيراً يشهد منازل السابقين وهو فى زمرة المنقطعين ، ويشهد بضائع التجار وهو فى رفقة المحرومين ، ومنها أنه عساه أن تنهض همته يوماً إلى التشبث والتعلق بساقة القوم ولو من بعيد ، ومنها أنه لعله أن يصدق فى الرغبة واللجأ إلى من بيده الخير كله أن يلحقه بالقوم ويهيئه لأعمالهم ، فيصادف ساعة إجابة لا يسأل الله فيها شيئاً إلا أعطاه ، ومنها أن هذا العلم هو من أشرف علوم العباد ، وليس بعد علم التوحيد أشرف منه ، وهو لا يناسب إلا النفوس الشريفة ، ولا يناسب النفوس الدنيئة المهينة ، فإذا رأى نفسه تناسب هذا العلم وتشتاق إليه وتحبه وتأنس بأقله فليبشر بالخير فقد أُهِّلَ لهَ ، فليقل لنفسه : يا نفس فقد حصل لك شطر

فاحرصى على الشطر الآخر ، ومنها أن العلم بكل حال خير من الجهل ، ومنها أنه إذا كان العلم بهذا الشأن همه ومطلوبه فلا بد أن ينال منه بحسب استعداده ولو لحظة ولو بارقة ، ولو أنه يحدث نفسه بالنهضة إليه ، ومنها أنه لعله يجرى منه على لسانه ما ينتفع به غيره بقصده أو بغير قصده والله لا يضيع مثقال ذرة فعسى أن يرحم بذلك العالم ، وإياك أن تظن أن بمجرد علم هذا الشأن قد صرت من أهله ، هيهات ما أظهر الفرق بين العلم بوجوه الغنى وهو فقير وبين الغنى بالفعل ، وبين العالم بأسباب الصحة وحدودها وهو سقيم وبين الصحيح بالفعل ، فاسمع الآن وصف القوم وأحضر ذهنك لشأنهم العجيب وخطرهم الجليل ، فإن وجدت من نفسك حركة وهمة إلى التشبه بهم فاحمد الله وادخل فالطريق واضحٌ والباب مفتوح :

إذا أُعْجَبَتْكَ خِصَالُ امرىءٍ ... فَكُنْهُ تَكُنْ مِثْلَ مَا يُعْجِبُكَ
فَلَيْس عَلَى الجُوْدِ وَالمُكْرَمَاتِ ... إِذَا جِئْتَهَا حَاجِبٌ يَحْجِبُكَ[1]

* * *

(١) طريق الهجرتين (٢٠٥ ، ٢٠٦) باختصار .

## ١ – فمن صفات المتقين أنهم يؤمنون بالغيب إيماناً جازماً

والغيب هو ما غاب عن حواسنا مما أخبرنا الله عز وجل بوجوده أو أخبرنا به رسوله ﷺ ، كالإيمان بالله وملائكته والإيمان بالآخرة ،ولا شك أن هذه الصفة هي أخص صفاتهم ، فإنها التي تدعوهم إلى إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والانقياد الكامل لأمر الله عز وجل ونهيه ، وهذه الصفة هي أول صفة وصفهم الله عز وجل بها في كتابه .

قال تعالى : ﴿ **ذَلِكَ الكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلمتَّقِينَ الَّذِيْنَ يُؤْمِنُونَ بِالغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاة وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُون وَالَّذِيْنَ يُؤْمِنُون بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ** ﴾ [ البقرة : ٢ – ٤ ]

ـ ومدحهم الله عز وجل كذلك في هذه الآيات الكريمات بأنهم أهل الهداية الحقيقية بالقرآن .

قال القاسمي :

قال الناصر في الانتصاف : الهدى يطلق في القرآن على معنيين

أحدهما : الإرشاد وإيضاح سبيل الحق ومنه قوله تعالى : ﴿ **وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا العَمَى عَلَى الهُدَى** ﴾ [ فصلت ١٧ ] وعلى هذا يكون الهدى للضال باعتبار أنه رُشِّدَ إِلَى الحقِّ سَواءٌ حصل له الاهتداء أو لا .

والآخر : خلق الله تعالى الاهتداء في قلب العبد ومنه : ﴿ **أُوْلَئِكَ الَّذِيْنَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِه** ﴾ [ الأنعام : ٩٠ ] فإذا ثبت وروده على المعنيين فهو في هذه الآية يحتمل أن يراد به المعنيان جميعاً .

وعلى الأول فتخصيص الهدى بالمتقين للتنويه بمدحهم حتى يتبين أنهم هم الذين اهتدوا وانتفعوا به كما قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَن يَخْشَاهَا ﴾ [ النازعات : ٤٥ ] .

وقال : ﴿ إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ ﴾ [ يس : ١١ ] وقد كان ﷺ منذراً لكل الناس ، فذكر هؤلاء لأجل أنهم هم الذين انتفعوا بإنذاره ، وهذه الآية نظير آية : ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاء وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِم وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾(١) [ فصلت : ٤٤ ]

* * *

(١) محاسن التأويل (٢/٣٤) دار الفكر بيروت .

## ○ ومن صفاتهم أنهم يعفون ويصفحون ○

كما قال تعالى : ﴿ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ [ البقرة : ٢٣٧ ] وقد قال الله عز وجل : ﴿ وَجَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَن عَفَى وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِيْنَ ﴾ [ الشورى : ٤٠ ]

فأخبر الله عز وجل أن من اتصف بهذه الصفة فأجره فى ذلك على الله عز وجل كما رغبهم الله عز وجل فى مغفرته إذا فعلوا ذلك فقال عز وجل فى سورة النور : ﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أن يَغْفِرَ اللّهُ لَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَحِيْمٌ ﴾ [ النور : ٢٢ ] وقال تعالى فى وصف المتقين : ﴿ وَالكَاظِمِيْنَ الغَيْظَ وَالعَافِيْنَ عَنِ النَّاسِ والله يُحِبُّ المُحْسِنِيْنَ ﴾ [ آل عمران : ١٣٤ ]

قال العلامة محمد رشيد رضا : -

قال الراغب : الغيظ أشدُّ الغضب ، وهو الحرارة التى يجدها الإنسان من فوران دم قلبه ، وفى روح المعانى : أن الغيظ هيجان الطبع عند رؤية ما ينكر ، والفرق بينه وبين الغضب على ما قيل : أن الغضب يتبعه إرادة الانتقام البتة ، ولا كذلك الغيظ .

وقال الزمخشرى : كظم الغيظ هو أن يمسك ما فى نفسه منه بالصبر ولا يظهر له أثراً ، ويروى عن عائشة أن خادماً لها غاظها فقالت : لله دَرُّ التقوى ما تركت لذى غيظٍ شفاء . ﴿ وَالعَافِيْنَ عِنِ النَّاسِ ﴾ العفو عن الناس هو التجافى عن ذنب المذنب منهم وترك مؤاخذته مع القدرة عليها ، وتلك مرتبة فى ضبط النفس والحكم عليها وكرم المعاملة قل من يتبوأها ، فالعفو مرتبة قبل مرتبة كظم الغيظ ، إذ ربما يكظم المرء غيظه على حقد

وضغينة ، وهناك مرتبة أعلى منها وهى ما أفاده قوله عز وجل : ﴿ **وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ فالإحسان وصف من أوصاف المتقين ، ولم يعطفه على ما سبقه من الصفات بل صاغه بهذه الصيغة تمييزاً له بكونه محبوباً عند الله تعالى ويروى أن بعض السلف غاظه غلام له فجأة غيظاً شديداً فهَمَّ بالانتقام منه فقال الغلام : ﴿ **وَالكَاظِمِينَ الغَيْظَ** ﴾فقال : كظمت غيظى ، قال الغلام : ﴿ **وَالعَافِيْنَ عن النَّاسِ** ﴾ قال : عفوت عنك . قال : ﴿ **وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ قال : اذهب فأنت حر لوجه الله . فهذه الواقعة تبين لك ترتب المراتب الثلاثة[1] .

* * *

(١) تفسير المنار باختصار (١٣٤/٤ ، ١٣٥) .

## ○ ومن صفاتهم أنهم غير معصومين من الخطايا إلا من ○ عصمه الله عز وجل من الأنبياء غير أنهم لا يقارفون الكبائر ، ولا يصرون على الصغائر

بل كلما وقعوا فى صغيرة رجعوا إلى الله بالتوبة والاستغفار والعمل الصالح عملاً بقول النبى ﷺ : « **وأتبع السيئة الحسنة تمحها** »[1] ودل على هذه الصفة قوله عز وجل : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوا إِذَا مَسَّهم طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ** ﴾ [ الأعراف : ٢٠١ ]

قال ابن كثير رحمه الله : يخبر تعالى عن المتقين من عباده الذين أطاعوه فيما أمر وتركوا ما عنه زجر ، أنهم إذا مسهم - أى : أصابهم - طيفٌ وقرأ الآخرون طائف ، وقد جاء فيه حديث وهما قراءتان مشهورتان فقيل : بمعنى واحد ، وقيل : بينهما فرق ، ومنهم من فسر ذلك بالغضب ، ومنهم من فسره بمس الشيطان بالصرع ونحوه ، ومنهم من فسره بالهَمِّ بالذنب ، ومنهم من فسره بإصابة الذنب ، وقوله : ﴿ **تَذَكَّرُوا** ﴾ أى : عقاب الله وجزيل ثوابه ووعده ووعيده فتابوا وأنابوا ورجعوا إليه من قريب : ﴿ **فَإِذَا هُم مُبْصِرُونَ** ﴾ أى : قد استقاموا وَصَحوا مما كانوا فيه »[2] .

ثم ذكر الله عز وجل ما يقابل هذه الصفة فى المتقين بقوله تعالى : ﴿ **وَإِخْوَانُهُم يَمُدُّونَهُم فِي الغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ** ﴾ [ الأعراف : ٢٠٢ ]

---

(١) تقدم تخريجه ص (١٩) .

(٢) تفسير القرآن العظيم (٢/٢٧٩) .

قال العلامة رشيد رضا رحمه الله :

شأن المؤمنين المتقين إذا مسهم طائف من الشيطان لحملهم على محاكاة الجاهلين والخوض معهم وعلى غير ذلك من المعاصى والفساد تذكروا فأبصروا فحذروا وسلموا ، وإن زلُّوا تابوا وأنابوا ، وأن إخوان الشياطين وهم الجاهلون غير المتقين تتمكن الشياطين من إهوائهم فيمدونهم فى غيهم وفسادهم ، لأنهم لا يذكرون الله تعالى إذا شَعَرُوا فى أنفسهم بالنزوع إلى الشر والباطل والفساد فى الأرض ، ولا يستعيذون منه بالله ، وإما لأنهم لا يؤمنون بأن للإنسان شيطاناً من الجن يوسوس إليه ويغريه بالشر - ثم لا يقصرون ولا يكفون عن إغوائهم وإفسادهم لذلك يصرون على الشرور والفساد لفقد الوازع النفسى والواعظ الدينى[1] .



(١) تفسير المنار (٩/٥٥٠) بتصرف .

## ○ ومن صفاتهم أنهم يتحرون الصدق فهم أصدق الناس ○ إيماناً وأصدقهم أقوالاً وأعمالاً وهم الذين صَدَّقوا المرسلين

قال تعالى : ﴿ **وَالَّذِى جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ** ﴾ [ الزمر : ٣٣ ]

قيل : الذى جاء بالصدق هو محمد ﷺ ، وقيل : جبريل عليه السلام ، وقال مجاهد : أصحاب القرآن المؤمنون : يجيئون يوم القيامة فيقولون : هذا ما أعطيتمونا فعملنا فيه بما أمرتمونا .

قال ابن كثير : وهذا القول عن مجاهد يشمل كل المؤمنين ، فإن المؤمنين يقولون الحق ويعملون به ، والرسول ﷺ أولى الناس بالدخول فى هذه الآية على هذا التفسير ، فإنه جاء بالصدق وصدق المرسلين ، وآمن بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله[1] .

وقال تعالى : ﴿ **أُوْلَئِكَ الَّذِيْنَ صَدَقُوا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمَتَّقُونَ** ﴾ [ البقرة : ١٧٧ ]

قال القاسمى : ﴿ **أولئك الذين صدقوا** ﴾ فى إيمانهم لأنهم حققوا الإيمَانَ القلبى بالأقوال والأفعال ، فلم تغيرهم الأحوال و لم تزلزلهم الأهوال ، وفيه إشعار بأن من لم يفعل أفعالهم لم يصدق فى دعواه الإيمان ، ﴿ **وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمَتَّقُونَ** ﴾ عن الكفر وسائر الرذائل ، وتكرير الإشارة لزيادة تنويه

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/٥٣) .

بشأنهم ، وتوسيط الضمير للإشارة إلى انحصار التقوى فيهم[1] . وقد رغب النبي ﷺ في هذه الخصلة النبيلة والرتبة الجليلة فقال ﷺ : « **وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صِدِّيقًا** »[2] .

* * *

(١) تفسير القاسمي (٣/٥٤) .

(٢) رواه البخاري (١٠/٥٠٧) الأدب ، ومسلم (١٦/١٦٠) البر والصلة وأبو داود (٤٩٦٨) الأدب ، وابن ماجه (٤٦) المقدمة بزيادة في أوله ، واللفظ لمسلم .

## ○ ومن صفاتهم أنهم يعظمون شعائر الله عز وجل ○

قال الله تعالى : ﴿ **ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللّٰهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ** ﴾ [ الحج :٣٢ ]

قال القرطبى رحمه الله : قوله تعالى : ﴿ **وَمَن يُعَظِّم شَعَائِرَ الله** ﴾ الشعائر جمع شعيرة وهى كل شىء لله تعالى فيه أمر أشعَرَ بِهِ وأعلم ، ومنه شِعار القوم فى الحرب ، أى علامتهم التى يتعارفون بها ؛ ومنه إشعار البدنة وهو الطعن فى جانبها الأيمن حتى يسيل الدم فيكون علامة ، فهى تسمى شعيرة بمعنى المشعورة ، فشعائر الإسلام أعلام دينه ، لا سيما ما يتعلق بالمناسك ، وقال قوم ، المراد هنا تسمين البُدْنِ والاهتمام بأمرها ، والمغالاة بها قاله ابن عباس ومجاهد وجماعة ، وفيه إشارة لطيفة ، وذلك أن أصل شراء البدن ربما يحمل على فعل ما لا بد منه فلا يدل على الإخلاص ، فإذا عظمها مع حصول الإجزاء بما دونه فلا يظهر له عمل إلا تعظيم الشرع وهو من تقوى القلوب والله أعلم .

وأضاف التقوى إلى القلوب لأن حقيقة التقوى فى القلب ، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام فى الحديث الصحيح : « **التقوى هاهنا وأشار إلى صدره** »[1] .

فالمتقون يعظمون طاعة الله وأمره فيدفعهم ذلك إلى طاعته ، ويعظمون

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٥/٤٤٤٨) باختصار والحديث رواه مسلم (١٦/١٢٠،١٢١) البر والصلة والترمذى (٨/١١٥) البر وأحمد (٢/٢٧٧) .

كذلك ما نهى الله عنه فيدفعهم ذلك عن معصيته ، وعكس ذلك الاستهانة بالأوامر فلا يؤديها ، وبالنواهى فيقع فيها نسأل الله السلامة .

قال أنس رضى الله عنه : « إنَّكم لتعملون أعمالاً هى أدَقُّ فى أعينكم من الشعر ، كنا لنعدها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات »[1] .

قال أبو عبد الله : يعنى بذلك المهلكات ، وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه ، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مَرَّ على أنفه فقال به هكذا »[2] قال العينى : السبب فيه أن قلب المؤمن منور فإذا رأى من نفسه ما يخالف ذلك عظم الأمر عليه ، والحكمة فى التمثيل بالجبل أن غيره من المهلكات قد يحصل منه النجاة بخلاف الجبل إذا سقط عليه فإنه لا ينجو عادة[3] .

* * *

(١) رواه البخارى (١١/٣٢٩) الرقاق .

(٢) رواه البخارى (١١/١٠٢) الدعوات ، والترمذى (٩/٣٠٨) صفة القيامة

(٣) نقلاً عن هامش جامع الأصول (١١/٥٠٨) .

## ○ ومن صفاتهم أنهم يتحرون العدل ويحكمون به ○ ولا يحملهم بغض أحد على تركه

قال الله تعالى : ﴿ **وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَئَانُ قَوْمٍ عَلَى أَنْ لَا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللّٰهَ إِنَّ اللّٰهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** ﴾ .

[ المائدة : ٨ ]

قال الزمخشرى : لا يحملنكم بغضكم للمشركين على أن تتركوا العدل فتعتدوا عليهم بأن تنتصروا منهم وتتشفوا بما فى قلوبكم من الضغائن بارتكاب ما لا يحل لكم من مُثْلَةٍ أو قذفٍ أو قتل أولاد أو نساء أو نقض عهدٍ أو ما أشبه ذلك ، ﴿ **اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَب لِلتَّقْوَى** ﴾ نهاهم أولاً أن تحملهم البغضاء على ترك العدل ، ثم استأنف فصرح لهم بالأمر بالعدل تأكيداً وتشديداً ؛ ثم استأنف فذكر لهم وجه الأمر بالعدل وهو قوله : ﴿ **هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى** ﴾ لكونه لطفاً فيها . وفيه تنبيه عظيم على وجوب العدل مع الكفار الذين هم أعداء الله إذا كان بهذه الصفة من القوة ، فما الظن بوجوبه مع المؤمنين الذين هم أولياؤه وأحباؤه[1] وقد ثبت فى الصحيحين عن النعمان بن بشير أنه قال : نحلنى أبى نحلاً فقالت أمى : لا أرضى حتى تشهد عليه رسول الله ﷺ فجاءه ليشهده على صدقتى فقال : « **أَكُلَّ ولدك نحلت مثله ؟** » قال : لا . فقال : « **اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم** » . وقال : « **إنى لا أشهد على جَوْرٍ** » . قال : فرجع أبى فَرَدَّ تلك الصَّدَقَة »[2] .

(١) تفسير الكشاف (٦١٢/١ ، ٦١٣) باختصار .

(٢) رواه البخارى (٢١١/٥) الهبة ، (٢٥٨/٥) الشهادات ، ومسلم (٦٧/١١) الهبة .

## ○ ومن صفاتهم أنهم يتبعون سبيل الصادقين من الأنبياء ○ والمرسلين وصحابة سيد الأولين والآخرين ﷺ

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ وَكُونُوا مع الصَّادِقِينَ ﴾ [ التوبة : ١١٩ ]

وقد فسر بعض العلماء هذه الآية على أنها تحريض على الصدق وأمر به كابن كثير والقاسمى ، ورجح بعضهم أنها حض على التزام طريق الصادقين كالشوكانى ، ونقل عن سعيد بن جبير والضحاك « كونوا مع الصادقين » أبو بكر وعمر ، وذكر القرطبى وابن جرير القولين ورجح ابن جرير الثانى منها فقال : والصحيح من التأويل فى ذلك هو التأويل الذى ذكرناه عن نافع[1] والضحاك ، وذلك أن رسوم المصاحف كلها مجمعة على ﴿ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ وهى القراءة التى لا أستجيز لأحدٍ القراءةَ بخلافها ، وتأويل عبد الله رحمة الله عليه[2] فى ذلك على قراءته تأويل صحيح غير أن القراءة بخلافها[3] .

وقال القرطبى : هذا الأمر بالكون مع أهل الصدق حسن بعد قصة الثلاثة حين نفعهم الصدق وذهب بهم عن منازل المنافقين ، واختلف فى المراد

---

(١) الأثر عن نافع قال : قيل للثلاثة الذين خلفوا : يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين محمد وأصحابه .

(٢) قال ابن جرير : وكان ابن مسعود فيما ذكر عنه يقرأه ﴿ وكونوا من الصادقين ﴾ ويتأوله أن ذلك نهى من الله عن الكذب .

(٣) جامع البيان فى تفسير القرآن (٤٦/١١) دار المعرفة بيروت .

هنا بالمؤمنين والصادقين على أقوال فقيل : هو خطاب لمن آمن من أهل الكتاب ، وقيل ﴿ كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ أى مع الذين خرجوا مع النبى ﷺ لا مع المنافقين ، أى كونوا على مذهب الصادقين وسبيلهم . وقيل : هم المهاجرون لقول أبى بكر يوم السقيفة : إن الله سمانا الصادقين فقال ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ ﴾ الآية ثم سماكم بالمفلحين فقال : ﴿ وَالَّذِين تَبَوَّءُوا الدَّارَ والإِيْمَانَ ﴾ الآية . وقيل : هم الذين استوت ظواهرهم وبواطنهم . قال ابن العربى : وهذا القول هو الحقيقة والغاية التى إليها المنتهى ، فإن هذه الصفة يرتفع بها النفاق فى العقيدة والمخالفة فى العمل ، وصاحبها يقال له الصديق كأبى بكر وعمر وعثمان ومن دونهم على منازلهم وأزمانهم ، وأما تفسير أبى بكر الصديق فهو الذى يعم الأقوال كلها فإنْ جميع الصفات فيهم موجودة[1] .

فلا شك أن من صفات المتقين أنهم ينتهجون منهج الصحابة رضى الله عنهم ، لأنهم أولى الناس بهذه الصفة التى أمرنا الله أن نكون مع أهلها ، فقد شهد الله عز وجل لهم بالصدق ، وشهد لهم رسوله ﷺ ، فلا يجوز لأحد أن يلمزهم بشىء ، أو يتهمهم بما بَرَّأهم الله عز وجل منه ورسوله ﷺ ، فالصحابة كلهم عدول ، وظهرت فيهم من علامات الصدق والإيمان واليقين ما يجعل العاقل يقطع بتعديلهم ، فمن تقوى الله عز وجل موالاتهم ومحبتهم ونصرتهم والاحتجاج بإجماعهم ، وفهم الكتاب والسنة على منهجهم وطريقتهم ، وبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم .

* * *

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٣١٢٨/٤) باختصار .

## ○ المتقون يَدَعُونَ مالا بأس به حذراً ○ مما به بأس ويتقون الشبهات

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : « لا يبلغ العبد حقيقة التقوى حتى يدع ما حاك فى الصدر »[١] .

قال الحافظ : المراد بالتقوى وقاية النفس عن الشرك والأعمال السيئة والمواظبة على الأعمال الصالحة ، وقوله « حاك » أى تردد ففيه إشارة إلى أن بعض المؤمنين بلغ كنه الإيمان وحقيقته ، وبعضهم لم يبلغ . وقد أخرج ابن أبى الدنيا فى كتاب التقوى عن أبى الدرداء قال : « تمام التقوى أن تتقى الله حتى تترك ما ترى أنه حلال خشية أن يكون حراماً »[٢] .

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : « دَعْ مَا يَرِيبُكَ إلى ما لا يَرِيبك »[٣] .

---

(١) رواه البخارى تعليقاً مجزوماً به (٤٥/١) الإيمان ، وروى الترمذى (٢٧٨/٩) صفة القيامة ، وابن ماجه (٤٢١٥) الزهد ، والحاكم (٣١٩/٤) عن عطية السعدى قال : قال رسول الله ﷺ : **« لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذراً مما به بأس »** وقال الترمذى : حسن غريب وصحح إسناده الحاكم والذهبى وضعفه الألبانى ، وانظر بلوغ المرام (١٧٨) .

(٢) فتح البارى (٤٨/١) باختصار .

(٣) رواه النسائى (٢٣٠/٨) آداب القضاء وقال أبو عبد الرحمن : هذا الحديث جيد وقال الألبانى : صحيح الإسناد موقوف - يعنى على عبد الله بن مسعود رضى الله عنه وقد روى هذا الحديث مرفوعاً عن الحسن بن على بن أبى طالب خرجه أحمد والترمذى والنسائى وابن حبان والحاكم وصححه الترمذى وهو فى جامع العلوم الحديث الحادى عشر وانظر كلام ابن رجب رحمه الله ص (١٠١ ، ١٠٢) .

ومعنى ذلك أنهم يتركون كل ما يشكون فى حله فإن الحلال المحض لا يحصل للمؤمن فى قلبه منه شك ، وإنما تسكن إليه النفس ، ويشبه هذا الحديث كذلك قوله ﷺ : « **إن الحلال بَيِّنٌ وإن الحرام بَيِّنٌ وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثيرٌ من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام** »[1] .

فالمتقون يتورعون عن الشبهات وعما يرتابون فيه مما ليس حلالاً بينا ، وذلك أدعى أن يتورعوا عن الحرام البين ، ومن اجترأ على الشبهة اجترأ كذلك على الحرام ، ففى رواية الصحيحين : « **فمن ترك ما يشتبه عليه من الإثم كان لما استبان أترك** » يعنى : أن من ترك الإثم مع اشتباهه عليه فهو أولى بتركه إذا استبان أنّه إثم .

قال ابن رجب رحمه الله : « وههنا أمر ينبغى التفطن له وهو أن التدقيق فى التوقف عن الشبهات إنما يصلح لمن استقامت أحواله كلها وتشابهت أعماله فى التقوى والورع ، فأما من يقع فى انتهاك المحرمات الظاهرة ثم يريد أن يتورع عن شىء من دقائق الشبهة فإنه لا يحتمل له ذلك بل ينكر عليه ، كما قال ابن عمر لمن سأله عن دم البعوض من أهل العراق : يسألوننى عن دم البعوض وقد قتلوا الحسين ، وسمعت رسول الله ﷺ يقول : « **هما ريحانتاى من الدنيا** »[2] .

---

(١) رواه البخارى (١٢٦/١) الإيمان ، مسلم (٢٧/١١) المساقاة والمزارعة ، وأبو داود (٢٣١٣) البيوع ، والترمذى (١٩٨/٥ ، ١٩٩) البيوع ، وابن ماجه (٣٩٨٤) الفتن ، والدارمى (٢٤٥/٢) ، وأحمد (٢٦٩/٤) .

(٢) رواه البخارى (٩٥/٧) فضائل الصحابة ، والترمذى (١٩٣/١٣) المناقب ، قال ابن الأثير : ( الريحان والريحانة ) الرزق والراحة ، ويسمى الولد ريحاناً وريحانة لذلك .

وسأل رجل بشر بن الحارث عن رجل له زوجة وأمه تأمره بطلاقها : فقال إن كان بَرَّ أمه فى كل شيء و لم يبق من برها إلا طلاق زوجته فليفعل ، وإن كان يبرها بطلاق زوجته ثم يقوم بعد ذلك إلى أمه فيضربها فلا يفعل .

وسئل الإمام أحمد عن رجل يشترى بقلاً ويشترط الخُوْصة – يعنى التى تربط بها حزمة البقل – فقال أحمد : إيش هذه المسائل ؟ قيل : إن إبراهيم بن أبى نعيم يفعل ذلك . فقال أحمد إن كان إبراهيم بن أبى نعيم فنعم ، هذا يشبه ذاك ، وإنما أنكر هذه المسائل ممن لا يشبه حاله ، وأما أهل التدقيق فى الورع فيشبه حالهم هذا ، وقد كان الإمام أحمد نفسه يستعمل فى نفسه هذا الورع ، فإنه أمر من يشترى له سمناً فجاء به على ورقة فأمر برد الورقة إلى البائع[1] .

* * *

(١) جامع العلوم والحكم (١٠٣ ، ١٠٤) باختصار .

## □ ثمـرات التقـوى □

ونختم هذا البحث المعطار بذكر ثمرات التقوى العاجلة والآجلة نسأل الله سعادة الأولى والآخرة فالتقوى هى أعظم سبب للسعادة فى الدنيا والآخرة ، بل لا سعادة بدونها ، لأن مدار التقوى على معرفة الله عز وجل معرفة تشغل العبد بطاعته وذكره وشكره ، وهذه من سعادة النفوس ، وما يترتب على ذلك من محبة الله عز وجل والرضا به وحسن التوكل عليه . سعادة أعظم من السعادة الأولى ، فالمتقون يسعدون بالطاعة وثمارها فى الدنيا ، وشاهد هذه السعادة فى نفس العبد أنه إذا وقع فى معصية الله عز وجل لضعف وازع التقوى كم يجد من حرج فى صدره وضيق ووحشة بينه وبين الله عز وجل وبينه وبين عباد الله المؤمنين ، فلو حصلت له الدنيا بحذافيرها لم تعوضه هذه الوحشة .

يقول ابن القيم رحمه الله واصفا من ذاق شيئاً من سعادة التقوى ثم حرم ذلك :

« ومن ذاق شيئا من ذلك طريقاً موصلةً إلى الله ثم تركها وأقبل على إراداته وراحاته وشهواته ولذاته وقع فى آثار المعاطب ، وأودع قلبه سجون المضايق ، وعذب فى حياته عذاباً لم يعذب به أحد من العالمين ، فحياته عجز وغم وحزن ، وموته كدر وحسرة ، ومعاده أسف وندامة ، قد فرط عليه أمره وشتت عليه شمله ، وأحضر نفسه الغموم والأحزان ، فلا لذة الجاهلين ، ولا راحة العارفين ، يستغيث فلا يغاث ، ويشتكى فلا يشكى ، فقد ترحلت أفراحه وسروره مدبرة ، وأقبلت آلامه وأحزانه وحسراته ، فقد أبدل بأنسه

وحشة ، وبعزه ذلاً ، وبغناه فقراً ، وبجمعيته تشتتاً ، وأبعدوه فلم يظفر بقربهم ، وأبدلوه مكان الأنس إيحاشاً ، ذلك بأنه عرف طريقه إلى الله ثم تركها وناكب عنها مكباً على وجهه ، فأبصر ثم عمى ، وعرف ثم أنكر ، وأقبل ثم أدبر ، ودعى فما أجاب ، وفتح له فولى ظهره للباب ، قد ترك طريق مولاه ، وأقبل بكليته على هواه ، فلو نال بعض حظوظه وتلذذ براحاته وشئونه فهو مقيد القلب عن انطلاقه فى فسيح التوحيد ، وميادين الأنس ورياض المحبة ، وموائد القرب ، قد انحط بسبب إعراضه عن إلـٰهه الحق إلى أسفل سافلين ، وحصل فى عداد الهالكين ، فنار الحجاب تطلع كل وقت على فؤاده ، وإعراض الكون عنه إذا أعرض عنه مولاه حائل بينه وبين مراده »[1] إلى آخر ما ذكره رحمه الله فلا تستطيل ما ذكرناه والله يعصمنا من الزلل ويمن علينا بصالح القول والعمل ، وكما رزقنا محبة الصالحين نسأله تعالى أن يرزقنا سلوك طريقهم وذوق حلاوة مواجيدهم ، ونعوذ به من السلب بعد العطاء ، ومن الحَوْر بعد الكور ، وفى حدائق التقوى ننزه قلوبنا وجوارحنا برؤية ثمرات التقوى وبشارات المتقين ، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

* * *

(١) طريق الهجرتين (١٨٠) السلفية .

## □ ثمرات التقوى العاجلة □

## ١ - المخرج من كل ضيق والرزق من حيث لا يحتسب

قال الله تعالى :

﴿ وَمَن يَتَّقِ اللّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِن حَيْثُ لا يَحْتَسِب ﴾ .

[ الطلاق : ٢ ، ٣ ]

عن ابن عباس : « يجعل له مخرجاً ، ينجيه من كل كرب فى الدنيا والآخرة وقيل : المخرج هو أن يقنعه الله بما رزقه قاله على بن صالح . وقال الربيع بن خيثم : « يجعل له مخرَجاً » من كل شىء ضاق على الناس . وقال سهل ابن عبد الله : ومن يتق الله فى اتباع السنة يجعل له مخرجاً من عقوبة أهل البدع ويرزقه الجنة من حيث لا يحتسب .

قيل : ومن يتق الله فى الرزق بقطع العلائق يجعل له مخرجاً بالكفايَة . وقال عمر بن عثمان الصدفى : « ومن يتق الله » فيقف عند حدوده ويتجنب معاصيه يخرجه من الحرام إلى الحلال ، ومن الضيق إلى السعة ، ومن النار إلى الجنة ، « ويرزقه من حيث لا يحتسب » من حيث لا يرجو . وقال ابن عيينة : هو البركة فى الرزق وقال أبو سعيد الخدرى : ومن يبرأ من حوله وقوته بالرجوع إلى الله يجعل له مخرجاً مما كلفه بالمعونة له[1] .

* * *

(١) باختصار من الجامع لأحكام القرآن (٨/٦٦٣٨ ، ٦٦٣٩) .

## ٢ - السهولة واليسر فى كل أمر

قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾ .

[ الطلاق : ٤ ]

* قال مقاتل : ومن يتق الله فى اجتناب معاصيه يجعل له من أمره يسراً فى توفيقه للطاعة[1].

قال سيد قطب رحمه الله :

واليسر فى الأمر غاية ما يرجوه الإنسان ، وإنها لنعمة كبرى أن يجعل الله الأمور ميسرة لعبد من عباده فلاعنت ولا مشقة ولا عسر ولا ضيقة يأخذ الأمور بيسر فى شعوره وتقديره ، وينالها بيسر فى حركته وعمله ، ويرضاها بيسر فى حصيلتها ونتيجتها . ويعيش من هذا ، فى يسر رَخِيٍّ نَدِيٍّ حتى يلقى الله[2] .

* * *

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٨/٦٦٤٤) .

(٢) فى ظلال القرآن (٦/٣٦٠٢) .

## ٣ – تيسر تعلم العلم النافع

قال الله تعالى :﴿ وَاتَّقُوا اللّٰهَ وَيُعَلِّمُكُم اللّٰهُ وَاللّٰهُ بِكُلِّ شَىءٍ عَلِيْمٌ ﴾ . [ البقرة : ٢٨٢ ]

قال العلامة محمد رشيد رضا : أى اتقوا الله فى جميع ما أمركم به ونهاكم عنه وهو يعلمكم ما فيه قيام مصالحكم وحفظ أموالكم وتقوية رابطتكم ، فإنكم لولا هدايته لا تعلمون ذلك ، وهو سبحانه العليم بكل شىء . فإذا شرع شيئاً فإنما يشرعه عن علم محيط بأسباب درء المفاسد وجلب المصالح لمن تبع شرعه ، وكرر لفظ الجلالة لكمال التذكير وقوة التأثير(١) .

وقال البيضاوى : كرر لفظ الجلالة فى الجمل الثلاث لاستقلالها ، فالأولى حث على التقوى ، والثانية وعدٌ بإنعامه ، والثالثة تعظيمٌ بشأنه ، ولأنه أدخل فى التعظيم من الكناية .

---

(١) استدل الصوفية بهذه الآية الكريمة على ما يزعمون من حصول العلم اللدنى ، وأن ما يأتونه من رياضات وأوراد يكفى فى حصول ذلك العلم دون أن يأخذوا بأسباب العلم من طلبه وتعلمه ، وقد قال النبى ﷺ : « **إنَّمَا العِلْمُ بالتعَلُّم** » ذكره البخارى تعليقاً مجزوماً به وسيأتى تخريجه إن شاء الله ويقولون فخراً : أخذتم علمكم ميتاً عن ميت ، وأخذنا علمنا عن الحى الذى لا يموت . ويقول بعضهم : أنتم تأخذون عن عبد الرزاق ونحن نأخذ عن الواحد الخَلاق . وهذا ولا شك من جهلهم بالدين وفتح أبواب الشياطين ، فيدعى من شاء ما يشاء ويقول : حدثنى قلبى عن ربى .

ولا شك أن من يوحى إليه بتكاليف شرعية يثبت له بذلك مرتبة النبوة ، ورسولنا ﷺ خاتم النبيين ولفظ الآية لا يساعدهم على دعواهم فلم يقل الله عز وجل : واتقوا الله يعلمكم الله وإلا كان مفيداً لما قالوه . والعطف يقتضى المغايرة ، والصحيح أن يقال : ييسر الله عز وجل للعبد أسباب التعلم إذا اتقى الله عز وجل ، ويدل على ذلك أثر من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ومما يوضح ذلك الثمرة الرابعة .

## ٤ - إطلاق نور البصيرة

قال الله تعالى :

﴿ إن تَتَّقُوا اللّٰهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً ﴾ [ الأنفال : ٢٩ ]

قال العلامة محمد رشيد رضا : الفرقان فى اللغة هو الصبح الذى يفرق بين الليل والنهار ، ويسمى القرآن فرقاناً لأنه كالصبح يفرق بين الحق والباطل ، وتقوى الله فى الأمور كلها تعطى صاحبها نوراً يفرق به بين دقائق الشبهات التى لا يعلمهن كثير من الناس ، فهى تفيده علماً خاصاً لم يكن ليهتدى إليه لولاها ، وهذا العلم هو غير العلم الذى يتوقف على التلقين كالشرع أصوله وفروعه ، وهو ما لا تتحق التقوى بدونه ، لأنها عبارة عن العمل فعلاً وتركاً بعلم ، فالعلم الذى هو أصل التقوى وسببها لا يكون إلا بالتعلم كما ورد فى الحديث : « **العلم بالتعلم** »[(١)] .

وإذا علمت أن التقوى عمل يتوقف على العلم ، وأن هذا العلم لا بد أن يؤخذ بالتعليم والتلقى ، وأن العمل بالعلم من أسباب المزيد فيه ، وخروجه من مضيق الإبهام والإجمال إلى فضاء الجلاء والتفصيل ، فهمت المراد بالفرقان على عمومه ، وعلمت أن أدعياء التصوف الجاهلين لا حظ لهم من ذلك العلم الأول ، ولا من هذه التقوى التى هى أثره ، ولا من هذا العلم الأخير الذى هو أثر العلم والتقوى جميعاً[(٢)] .

(١) قال الحافظ : « إنما العلم بالتعلم » هو حديث مرفوع أيضاً أورده ابن أبى عاصم والطبرانى من حديث معاوية – ثم ذكره - وإسناده حسن إلا أن فيه مبهماً اعتضد بمجيئه من وجه آخر ( فتح البارى ١٦١/١١ ) وقال الألبانى : رواه الخطيب فى تاريخه (٢٧/٩) عن أبى هريرة مرفوعاً وحسنه وانظر الصحيحة رقم (٣٤٢) .

(٢) باختصار وتصرف من تفسير المنار (١٢٩/٣ – ١٣١) .

## ٥ - محبة الله عز وجل ومحبة ملائكته والقبول فى الأرض

قال الله تعالى :

﴿ بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِيْنَ ﴾ .

[ آل عمران : ٧٦ ]

عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **إذا أحبَّ الله العبد قال لجبريل : قد أحببت فلانا فأحبه . فيحبه جبريل عليه السلام ، ثم ينادى فى أهل السماء : إن الله قد أحب فلاناً فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ، ثم يوضَعُ له القبول فى الأرض** »[1] .

وكتب أبو الدرداء إلى مسلمة بن مخلد : سلام عليك أما بعد ، فإن العبد إذا عمل بطاعة الله أحبه الله ، فإذا أحبه الله حببه إلى عباده .

وعن هَرم بن حيان قال : ما أقبل عبد بقلبه إلى الله إلا أقبل الله بقلوب المؤمنين عليه حتى يرزقه مودتهم .

فقد وعد الله عز وجل عباده المؤمنين الذين يداومون على الأعمال الصالحة بهذه المودة والمحبة كما قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَن وُدّا** ﴾ . [ مريم : ٩٦ ]

---

(١) رواه مسلم (١٨٣/١٦ ، ١٨٤) البر والصلة ، والبخارى (٤٦١/١٠) الأدب ومالك فى الموطأ (٩٥٣/٢) الشعر .

## ٦ - نصرة الله عز وجل وتأييده وتسديده

وهى المعية المقصودة بقول الله تعالى :

﴿ وَاتَّقُوا اللّٰهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللّٰهَ معَ الْمُتَقِين ﴾ [ البقرة : ١٩٤ ]

فهذه المعية هى معية التأييد والنصرة والتسديد وهى معية الله عز وجل لأنبيائه وأوليائه ومعيته للمتقين والصابرين .

قال ابن رجب رحمه الله :

وهذه المعية الخاصة بالمتقين غير المعية العامة المذكورة فى قوله تعالى :

﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ ﴾ [ الحديد : ٤ ] وقوله : ﴿ وَلا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللّٰهِ وهُوَ مَعَهُم إذْ يُبَيِّتُونَ مَالَا يَرْضَى مِن القَوْلِ ﴾ [ النساء : ١٠٨ ] فإن المعية الخاصة تقتضى النصر والتأييد والحفظ والإعانة كما قال تعالى لموسى عليه السلام وهارون : ﴿ لَا تَخَافَا إِنَّنِى مَعَكُمَا أَسْمَعُ وأَرى ﴾[1] [ طه : ٤٦ ]

والمعية العامة تستوجب من العبد الحذر والخوف ومراقبة الله عز وجل . أما المعية الخاصة فتستوجب من العبد الأُنس بالله عز وجل والثقة بنصره وتأييده .

قال قتادة : ومن يتق الله يكن معه ، ومن يكن الله معه فمعه الفئة التى لا تغلب ، والحارس الذى لا ينام ، والهادى الذى لا يضل .

وكتب بعض السلف إلى أخيه : أما بعد : إن كان الله معك فمن تخاف وإن كان عليك فمن ترجو

---

(١) نور الاقتباس فى مشكاة وصية النبى ﷺ لابن عباس (١؛

## ٧ - البركات من السماء والأرض

قال تعالى :

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِن السَّمَاء وَالأَرْض﴾ [الأعراف : ٩٦]

قال القاسمي رحمه الله :

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى ﴾ أى : القرى المُهْلَكَة ﴿ آمَنُوا ﴾ أى : بالله ورسلهم ﴿ واتَّقَوا ﴾ أى : الكفر والمعاصى ﴿ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْض ﴾ أى : لوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب ، مكان ما أصابهم من فنون العقوبات التى بعضها من السماء وبعضها من الأرض[1] .

ويدل على هذا المعنى قوله عز وجل : ﴿ وَألَّو اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً ﴾ [ الجن : ١٦ ]

يقول ابن القيم رحمه الله :

فإذا أراد الله أن يطهر الأرض من الظلمة والخونة والفجرة ، يخرج عبداً من عباده من أهل بيت نبيه ﷺ فيملأ الأرض قسطاً كما ملئت جوراً ، ويقتل المسيح اليهود والنصارى ، ويقيم الدين الذى بعث الله به رسوله ، وتخرج الأرض بركتها ، وتعود كما كانت ، حتى إن العصابة من الناس

---

(١) محاسن التأويل (٢٢١/٧) باختصار .

ليأكلون الرمانة ويستظلون بقحفتها ، ويكون العنقود من العنب وِقْر بعير ، ولبن اللقحة الواحدة يكفى الفئام من الناس ، وهذا لأن الأرض لما طهرت من المعاصى ظهرت فيها آثار البركة من الله تعالى التى محقتها الذنوب والكفر[1] .

فانظر إلى بركات التقوى ، واعلم أن ما نحن فيه من قلة البركة ونقص الثمار وكثرة الآفات والأمراض إنما هو نتيجة حتمية لضعف وازع التقوى وكثرة المعاصى كما قال تعالى : ﴿ **ظَهَرَ الفَسَادُ فِى البرِّ والبَحْرِ بِمَا كَسَبَت أَيْدِى النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِى عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** ﴾ [ الروم : ٤١ ] .

* * *

(١) الجواب الكافى (٦٧) باختصار دار عمر بن الخطاب .

## ٨ - البشرى وهى الرؤيا الصالحة وثناء الخلق ومحبتهم

قال تعالى : ﴿ **أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللّٰهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِم وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِيْنَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فى الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِى الآخِرَةِ** ﴾ .

[ يونس : ٦٢ - ٦٤ ] .

قال الزمخشرى رحمه الله :

والبشرى فى الدنيا ما بشر الله به المؤمنين المتقين فى غير مكان من كتابه وعن النبى ﷺ : « **هى الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له** »[١] . وعنه عليه الصلاة والسلام : « **ذهبت النبوة وبقيت المبشرات** »[٢] .

وقيل : هى محبة الناس له والذكر الحسن .

وعن أبى ذر قال : قلت لرسول الله ﷺ : الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس » فقال : « **تلك عاجل بشرى المؤمن** »[٣] .

---

(١) رواه الترمذى (٩/١٢٨) أبواب الرؤيا وقال : هذا حديث حسن ، ومالك فى الموطأ (٢/٩٥٨) الرؤيا ، والحاكم (٤/٣٩١) الرؤيا وصححه ووافقه الذهبى .

(٢) رواه البخارى (١٢/٣٧٥) التعبير ، والترمذى (٩/١٢٧) أبواب الرؤيا عن أنس .

(٣) رواه مسلم (١٦/١٨٩) البر والصلة ، وأحمد (٥/٢٥٦ ، ١٥٧ ، ١٦٨) وابن ماجه (٤٢٢٥) الزهد ، وقال العلماء : معناه هذه البشرى المعجلة له بالخير وهى دليل على رضاء الله تعالى عنه ومحبته له فيحببه إلى الخلق كما سبق فى الحديث ثم يوضع له القبول فى الأرض هذا كله إذا حمده الناس من غير تعرض منه لحمدهم وإلا فالتعرض مزموم - شرح النووى على صحيح مسلم (١٦/١٨٩) .

وعن عطاء : لهم البشرى عند الموت تأتيهم الملائكة بالرحمة قال الله تعالى : ﴿ **تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمِ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ** ﴾ [ فصلت : ٣١ ] وأما البشرى فى الآخرة فتلقى الملائكة إياهم مبشرين بالفوز والكرامة ، وما يرون من بياض وجوههم وإعطاء الصحائف بأيمانهم وما يقرءون منها وغير ذلك من البشارات[١] .

(١) الكشاف (٣٥٦/٢) باختصار .

# ٩ - الحفظ من كيد الأعداء ومكرهم

قال تعالى :

﴿ وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [ آل عمران : ١٢٠ ]

قال ابن كثير رحمه الله :

يرشدهم تعالى إلى السلامة من شر الأشرار وكيد الفجار باستعمال الصبر والتقوى والتوكل على الله الذى هو محيط بأعدائهم ، فلا حول ولا قوة لهم إلا به ، وهو الذى ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن[١] .

وقال الزمخشرى رحمه الله :

وإن تصبروا على عداوتهم وَتَتَّقُوا ما نهيتم عنه من موالاتهم ، أو وإن تصبروا عَلى تكاليف الدين ومشاقه ، وتتقوا الله فى اجتنابكم محارمه ، كنتم فى كنف الله فلا يضركم كيدهم .

وهذا تعليم من الله وإرشاد إلى أن يستعان على كيد العدو بالصبر والتقوى ، وقد قال الحكماء : - إذا أردت أن تكبت من يحسدك فازدد فضلاً فى نفسك ﴿ إِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ من الصبر والتقوى وغيرهما مُحِيْط ففاعل بكم ما أنتم أهله[٢] .

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٣٢٩/١) .

(٢) الكشاف (٤٠٨/١) باختصار .

## ١٠ - حفظ الذرية الضعاف بعناية الله عز وجل

قال الله تعالى : ﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴾ [ النساء : ٩ ]

قال القاسمي رحمه الله :

وفى الآية إشارة إلى إرشاد الآباء الذين يخشون ترك ذرية ضعاف بالتقوى فى سائر شؤونهم حتى تحفظ أبناؤهم وتغاث بالعناية منه تعالى ، ويكون فى إشعارها تهديد بضياع أولادهم إن فقدوا تقوى الله ، وإشارة إلى أن تقوى الأصول تحفظ الفروع ، وأن الرجال الصالحين يحفظون فى ذريتهم الضعاف كما فى آية : ﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً ﴾ [ الكهف : ٨٢ ]

فإن الغلامين حفظا ببركة صلاح أبيهما فى أنفسهما ومالهما[١].

قال محمد بن المنكدر : إن الله ليحفظ بالرجل الصالح ولده وولد ولده وقريته التى هو فيها ، والدويرات التى حولها فما يزالون فى حفظ الله وستره .

وقال ابن المسيب لابنه : يا بنى إنى لأزيد فى صلاتى من أجلك رجاء أن أحفظ فيك ، وتلا هذه الآية : ﴿ وكان أَبُوهُمَا صَالِحاً ﴾ [ الكهف : ٨٢ ]

* * *

---

(١) محاسن التأويل (٥/٤٧) .

# ١١ - سبب لقبول الأعمال التى بها سعادة العباد فى الدنيا والآخرة

قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ** ﴾ [ المائدة : ٢٧ ]

قال الزمخشرى رحمه الله :

لما كان الحسد لأخيه على تقبل قربانه هو الذى حمله على توعده لأخيه بالقتل قال له : إنما أتيت من قبل نفسك لانسلاخها من لباس التقوى لا من قبلى ، فلِمَ تقتلنى ، ومالك لا تعاتب نفسك ولا تحملها على تقوى الله التى هى السبب فى القبول ، فأجابه بكلام حكيم مختصر جامع لمعانى الخير ، وفيه دليل على أن الله تعالى لا يقبل طاعة إلا من مؤمن متقٍ ، فما أنعاه على أكثر العاملين أعمالهم .

وعن عامر بن عبد الله أنه بكى حين حضرته الوفاة فقيل له : ما يبكيكَ فقد كنت وكنت ؟ قال : إنى أسمع الله يقول : ﴿ **إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ** ﴾[١] .

وقال الغزالى رحمه الله :

تأمل أصلاً واحداً وهو أنه هب أنك قد تعبت جميع عمرك فى العبادة ، وكابدت حتى حصل لك ما تمنيت ، أليس الشأن كله فى القبول ، ولقد علمت أن الله تعالى يقول : ﴿ **إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ** ﴾ ، فرجع

---

(١) الكشاف (٦٢٤/١) .

الأمر كله إلى التقوى[٢].

وقال بعض السلف : لو أعلم أن الله يقبل منى سجدة بالليل وسجدة بالنهار لطرت شوقاً إلى الموت ، إن الله عز وجل يقول : ﴿ **إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ** ﴾ .

* * *

(٢) منهاج العابدين (٧٢) .

## ١٢ - سبب النجاة من عذاب الدنيا :

قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُم صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ، وَنَجَّيْنَا الَّذِيْنَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ [ فصلت : ١٧ : ١٨ ]

قال ابن كثير رحمه الله :

﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما وأبو العالية وسعيد بن جبير وقتادة والسدى وابن زيد : بَيَّنا لهم ووضحنا لهم الحق على لسان نبيهم صالح عليه الصلاة والسلام ، فخالفوه وكذبوه ، وعقروا ناقة الله تعالى التى جعلها آية وعلامة على صدق نبيهم ، ﴿ فَأَخَذَتْهُم صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُوْنِ ﴾ أى بعثنا عليهم صيحة ورجفة وذُلاً وعذاباً ونكالاً ﴿ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ أى : من التكذيب والجحود ، ﴿ وَنَجَّيْنَا الَّذِيْنَ آمَنُوا ﴾ أى : من بين أظهرهم لم يمسسهم سوء ولا نالهم من ذلك ضرر ، بل نجاهم الله تعالى مع نبيهم صالح عليه السلام بإيمانهم وتقواهم لله عز وجل[١] .

* * *

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/٩٥) .

## ١٣ – ما يعجله الله لهم من الشرف وهيبة الخلق ، وحلاوة المعرفة والإيمان

قال ابن رجب رحمه الله :

ومنها ( أى : مما يرغب فى شرف الآخرة ) وليس هو فى قدرة العبد ولكنه من فضل الله ورحمته ما يعوض الله عباده العارفين به الزاهدين فيما يفنى من المال والشرف مما يجعله الله لهم فى الدنيا من شرف التقوى وهيبة الخلق لهم فى الظاهر ، ومن حلاوة المعرفة والإيمان والطاعة فى الباطن ، وهى الحياة الطيبة التى وعدها الله لمن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ، وهذه الحياة الطيبة لم يذقها الملوك فى الدنيا ولا أهل الرياسات والحرص على الشرف .

كان حجاج بن أرطاة يقول : قتلنى حب الشرف ، فقال له سوار : لو اتقيت الله شرفت . وفى هذا المعنى قيل :

أَلَا إِنَّمَا التَّقْوَى هِىَ العِزُّ وَالكَرَمُ وَحُبُّكَ لِلدنْيَا هُوَ الذُّلُّ والسَّقَمُ

وَلَيْسَ عَلَى عَبْدٍ تقى نَقِيْصَةٌ إِذَا حَقَّقَ التقْوَى وَإِنْ حَاكَ أَوْ حَجَمَ

وقال صالح الباجى : الطاعة إمرة ، والمطيع لله أمير مؤمر على الأمراء ، ألا ترى هيبته فى صدورهم إن قال قبلوا ، وإن أمر أطاعوا ، ثم يقول : يحق لمن أحسن خدمتك ومننت عليه بمحبتك أن تذلل له الجبابرة حتى يهابوه لهيبته فى صدورهم من هيبتك فى قلبه ، وكل الخير من عندك بأوليائك .

وقال ذو النون المصرى : من أكرم وأعز ممن انقطع إلى من ملك الأشياء بيده .

كان مالك بن أنس يهاب أن يسأل حتى قال فيه القائل :

يَدَعُ الجَوابَ وَلَا يُراجَعُ هَيْبَةً وَالسَّائِلُونَ نَـوَاكِسُ الأَذْقَـانِ
نُورُ الوَقارِ وَعِزُّ سُلْطَانِ التُّقَى فَهُوَ المهِيْبُ وَلَيْسَ ذَا سُلْطَانِ[1]

* * *

(١) باختصار من شرح حديث : « ماذئبانِ جائعان » لابن رجب الحنبلى (٢١ ، ٢٢) دار الفتح .

# ١٤ - الذرة من صاحب تقوى أفضل من أمثال الجبال عبادة من المغترين

قال أبو الدرداء رضى الله عنه :

يا حبذا نوم الأكياس وفطرهم كيف يغبنون به قيام الحمقى وصومهم ، والذرة من صاحب تقوى أفضل من أمثال الجبال عبادة من المغترين وهذا من جواهر الكلام وأَدَلِّهِ على كمال فقه الصحابة وتقدمهم على من بعدهم فى كل خير رضى الله عنهم .

فاعلم أن العبد إنما يقطع منازل السير إلى الله بقلبه لابدنه ، والتقوى فى الحقيقة تقوى القلوب لا تقوى الجوارح .

فالكيس يقطع من المسافة بصحة العزيمة وعلو الهمة وتجريد القصد وصحة النية مع العمل القليل ، أضعاف أضعاف ما يقطعه الفارغ من ذلك مع التعب الكثير والسفر الشاق ، فإن العزيمة والمحبة تذهب المشقة وتطيب السير والتقدم والسبق إلى الله سبحانه إنما هو بالهمم وصدق الرغبة والعزيمة ، فيتقدم صاحب الهمة مع سكونه صاحب العمل الكثير بمراحل ، فإن ساواه فى همته تقدم عليه بعمله[١] .

فالأعمال تتفاضل بحسب ما فى قلوب أصحابها من إيمان وتقوى لله عز وجل ، وإن الرجلين ليكونان فى صف واحد وبين صلاتيهما كما بين

(١) الفوائد (١٨٦ ، ١٨٧) لابن القيم باختصار .

السماء والأرض ، وكما قيل : كم من قائم محروم ، وكم من نائم مرحوم ، هذا قام وقلبه فاجرٌ وهذا نام وقلبه عامرٌ .

فالسير سير القلوب والسبق سبق الهمم .

مَنْ لِى بِمِثْلِ سَيْرِكَ المُدَلَّل    تَسِيْرُ رُوَيْدَاً وَتَجىءُ فِى الأُوَّلِ

* * *

## □ الثمرات الآجلة □

### ١ - تكفير السيئات وَهو سبب النجاة من النار ، وعظم الأجر وهو سبب الفوز بدرجات الجنة

قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِه وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً ﴾
[ الطلاق : ٥ ]

قال ابن كثير رحمه الله : أى : يذهب عنهم المحظور ، ويجزل لهم الثواب على العمل اليسير[1] .

وقال ابن جرير رحمه الله :

ومن يخف الله فيتقه باجتناب معاصيه وأداء فرائضه يمحو الله عنه ذنوبه وسيئات أعماله ، ﴿ وَيُعْظِم لَهُ أَجْراً ﴾ يقول ويجزل له الثواب على عمله ذلك وتقواه ، ومن إعظامه له الأجر أن يدخله جنته فيخلده فيها »[2] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوا لَكَفَّرْنا عنهُمْ سَيِّئَاتِهِم ﴾
[ المائدة : ٦٥ ]

ولا يصدر عن النار بعد ورودها إلا المتقون قال الله تعالى : ﴿ وَإِن مِنكُم إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيًّا ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَنَذَرُ الظَّالِمِيْنَ فِيْهَا جِثِيًّا ﴾
[ مريم : ٧١ ، ٧٢ ]

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٣٨٢/٤) .

(٢) جامع البيان فى تفسير القرآن (٩٣/١٢)

## ٢ – عز الفوقية فوق الخلق يوم القيامة

قال الله تعالى : ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِيْنَ كَفَرُوا الحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِيْنَ آمَنُوا وَالَّذِيْنَ اتَّقوا فَوْقَهُمْ يَوْمَ القِيامةِ ﴾ [ البقرة : ٢١٢ ]

قال القاسمى رحمه الله : ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِيْنَ كَفَرُوا ﴾ حتى بدلوا النعمة ﴿ الحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾ لحضورها فألهتهم عن رغائب الآخرة .

قال الحرالى : ففى ضمنه إشعار بأن استحسان بهجة الدنيا كفر ما ، من حيث إن نظر العقل والإيمان يبصر طيتها ويشهر جيفتها ، فلا يغتر بزينتها وهى آفة الخلق فى انقطاعهم عن الحق ؛ فأبهم تعالى المزين فى هذه الآية ليشمل أدنى التزيين الواقع على لسان الشيطان ، وأخفى التزيين الذى يكون من استدراج الله كما فى قوله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ﴾ [ الأنعام : ١٠٨ ]

قوله : ﴿ وَيَسْخَرُونَ ﴾ أى : « يهزأون » ﴿ مِنَ الَّذِيْنَ آمَنُوا ﴾ وهذا كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِيْنَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِيْنَ آمَنُوا يضْحَكُونَ ، وَإِذَا مَرُّوا بِهِم يَتَغَامَزُونَ ... ﴾ [ المطففين : ٢٩ – ٣٦ ]

﴿ وَالَّذِيْنَ اتَّقَوا ﴾ وهم المؤمنون ، وإنما ذكروا بعنوان التقوى لحضهم عليها ، وإيذاناً بترتب الحكم عليها ، ﴿ فَوْقَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ ﴾ لأنهم فى عليين وهم فى أسفل سافلين ، أو لأنهم يتطاولون عليهم فى الآخرة فيسخرون منهم كما سخروا منهم فى الدنيا ، كما قال تعالى : ﴿ فَاليومَ الَّذِيْنَ آمَنُوا مِنَ الكُفَّارِ يَضْحَكُونَ عَلَى الأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴾ [ المطففين : ٣٣ ، ٣٤ ]

ولذا قال الرَّاغب : يحتمل قوله تعالى : ﴿ فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ وجهين : أحدهما : أن حال المؤمنين فى الآخرة أعلى من حال الكفار فى الدنيا . والثانى : أن المؤمنين فى الآخرة فى الغرفات ، والكفار فى الدرك الأسفل من النار[1] انتهى .

* * *

(١) محاسن التأويل (١٨٢/٣ - ١٨٥) باختصار .

## ٣ - ميراث الجنة فهم أحق الناس بها وأهلها ، بل ما أعد الله الجنة إلا لأصحاب هذه الرّتْبَة العَليةِ والجوهرة البهية

قال تعالى : ﴿ تِلْكَ الجَنَّةُ الَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادنا من كَانَ تَقِيًّا ﴾ [ مريم : ٦٣ ] فهم الورثة الشرعيون لجنة الله عز وجل .

قال الزمخشرى رحمه الله :

﴿ نُورِثُ ﴾ وقرىء ﴿ نُورِّث ﴾ استعارة أى : نبقى عليه الجنة كما نبقى على الوارث مال المورث ، ولأن الأتقياء يلقون ربهم يوم القيامة قد انقطعت أعمالهم وثمرتها باقية وهى الجنة ، فإذا أدخلهم الجنة فقد أورثهم من تقواهم كما يورث المال من المُتَوَفَّى ، وقيل : أورثوا من الجنة المساكن التى كانت لأهل النار لو أطاعوا[1].

وقال تعالى : ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَٰوَاتُ والأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلمُتَّقِينَ ﴾ [ آل عمران : ١٣٣ ]

وقال تعالى : ﴿ إنَّ لِلمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ [ القلم : ٢٤ ]

* * *

(١) الكشاف (٢٨/٣) .

## ٤ – وهم لا يذهبون إلى الجنة سيراً على أقدامهم بل يحشرون إليها ركباناً

مع أن الله عز وجل يقرب إليهم الجنة تحيةً لهم ودفعاً لمشقتهم كما قال تعالى : ﴿ **وَأُزْلِفَتِ الجَنَّةُ لِلمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ** ﴾ [ ق : ٣١ ]

قال تعالى : ﴿ **يَوْمَ نَحْشُرُ المُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَـٰنِ وَفْدَاً** ﴾ [ مريم : ٨٥ ]

قال ابن كثير رحمه الله :

يخبر تعالى عن أوليائه المتقين الذين خافوه فى الدار الدنيا ، واتبعوا رسله ، وصدقوهم فيما أخبروهم ، وأطاعوهم فيما أمروهم به ، وانتهوا عما زجروهم ، أنه يحشرهم يوم القيامة وفداً إليه ، والوفد هم القادمون ركباناً ، ومنه الوفود ، وركوبهم على نجائب من نور من مراكب الدار الآخرة ، وهم قادمون على خير موفود إليه إلى دار كرامته ورضوانه[١].

وقال الزمخشرى رحمه الله :

ذكر المتقون بلفظ التبجيل ، وهو أنهم يجمعون إلى ربهم الذى غمرهم برحمته وخصهم برضوانه وكرامته ، كما يفد الوفاد على الملوك منتظرين للكرامة عندهم ، وعن على رضى الله عنه : ما يحشرون والله على أرجلهم ، ولكنهم على نوق رحالها ذهب ، وعلى نجائب سروجها ياقوت[٢].

---

(١) تفسير القرآن العظيم (١٣٧/٣) .

(٢) الكشاف (٤٢/٣) وأثر على رضى الله عنه أخرجه ابن أبى شيبة ، وعبد الله بن أحمد فى زيادات المسند ، والطبرى وابن أبى حاتم من رواية عبد الرحمن بن إسحق بن النعمان ابن سعد بن على نحوه ، وأخرجه ابن أبى داود – فى كتاب البعث من هذا الوجه مرفوعاً ، ورواه ابن عدى من حديث ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعاً أيضاً .

## ٥ - وهم لا يدخلون أدنى درجاتها بل يفوزون فيها بأعلى الدرجات وأفضل النعيم نسأل الله من فضله العظيم

قال تعالى : ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً ﴾ [ النبأ : ٣١ ]

وقال تعالى : ﴿ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِيْنَ لَحُسنَ مَآبٍ ﴾ [ ص : ٤٩ ]

والمآب هو المرجع والمنقلب ، ثم فصل ذلك عز وجل فقال تعالى : ﴿ جَنَّاتِ عَـدْنٍ مُفتَّحة لَهُمُ الأَبْوَابُ مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُوْنَ فِيْهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ، وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ ، هَذَا مَا تُوْعَدُون لِيَوْم الحِسَابِ ، إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَالَهُ مِن نَّفَادٍ ﴾ [ ص : ٥٠ - ٥٤ ]

وبين الله عز وجل قربهم من الحضرة واللقاء والرؤية والبهاء .

فقال عز وجل : ﴿ إِنَّ المُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَر ، فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيْكٍ مُقْتَدِرٍ ﴾ [ القمر : ٥٤ ، ٥٥ ]

قال القرطبى : ﴿ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ ﴾ أى : مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم ، وهو الجنة ﴿ عِنْدَ مَلِيْكٍ مُقْتَدِرٍ ﴾ أى : يقدر على ما يشاء وعند هاهنا عندية القربة والزلفة والمكانة والرتبة والكرامة والمنزلة[1].

وقال الزمخشرى : ﴿ فى مقعد صدق ﴾ فى مكان مرضى ، وقرىء فى مقاعد صدق عند مليك مقتدر مقربين عند مليك مبهم أمره فى الملك والاقتدار ، فلا شيء إلا وهو تحت ملكه وقدرته ، فأى منزلة أكرم من تلك

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٦٣٢٠/٧) .

المنزلة وأجمع للغبطة كلها والسعادة بِأسرِها »[1] ولا عجب فى ذلك فقد جمع الله عز وجل للمتقين كل نعيم الآخرة فقال تعالى : ﴿ وَالآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِيْنَ ﴾ [ الزخرف : ٣٥ ] وقال تعالى : ﴿ وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِيْنَ ﴾ [ القصص : ٨٣ ]

ووصف دارهم فقال عز وجل : ﴿ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ المُتَّقِيْنَ ﴾ [ النحل : ٣٠ ]

* * *

(١) الكشاف (٤/٤٤٢) .

## ٦ – وهى تجمع بين المتحابين من أهلها حين تنقلب كل صداقة ومحبة إلى عداوة ومشاقة

قال الله تعالى : ﴿ **الأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ** ﴾ [ الزخرف : ٦٧ ]

قال الزمخشرى : تتقطع فى ذلك اليوم كل خلة بين المتخالين فى غير ذات الله وتنقلب عداوة ومقتاً إلا خلة المتصادقين فى الله فإنها الخلة الباقية المزدادة قوة إذا رأوا ثواب التحاب فى الله تعالى والتباغض فى الله ، وقيل : إلا المتقين والمجتنبين أخلاء السوء[1].

فالمتقون هم الذين تدوم محبتهم وخلتهم كما قيل :

مَا كَانَ لِلّهِ دَامَ وَاتَّصَلَ ۞ وَمَا كَانَ لِغَيْرِ اللهِ انْقَطَعَ وَانْفَصَلَ

ومن بركة التقوى كذلك ينزع الله عز وجل ما قد يعلق بقلوبهم من الضغائن والغل فتزداد مودتهم وتتم محبتهم وصحبتهم كما قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ، ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ ، وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ** ﴾ [ الحجر : ٤٥ – ٤٧ ]

قال ابن الجوزى : قال ابن الأنبارى : ما مضى من التآخى قد كان تشوبه ضغائن وشحناء ، وهذا التآخى بينهم الموجود عند نزع الغِلّ هو تآخى المصافاة والإخلاص[2]

---

(١) الكشاف (٣/٢٦٣) .

(٢) زاد المسير (٤/٤٠٤) المكتب الإسلامى .

## ٧ - وهم يسعدون بالصحبة والمحبة وهم يساقون إلى الجنة زمراً زمراً

قال الله تعالى : ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوا رَبَّهُمْ إِلَى الجَنَّةِ زُمَرا حَتَى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِيْنَ ﴾ [ الزمر : ٧٣ ]

قال ابن كثير رحمه الله :

وهذا إخبار عن حال السعداء المؤمنين حين يساقون على النجائب وفداً إلى الجنة ( زمراً ) أى : جماعة : المقربون ثم الأبرار ثم الذين يلونهم كل طائفة مع ما يناسبهم : الأنبياء مع الأنبياء ، والصديقون مع أشكالهم ، والشهداء مع أضرابهم ، والعلماء مع أقرانهم ، وكل صنف مع صنف كل زمرة تناسب بعضها بعضاً[١] .

وقال القرطبى :

قوله تعالى : ﴿ وَسِيْقَ الَّذِيْنَ اتَّقَوا رَبَّهُمْ إلى الجَنَّةِ زُمَراً ﴾ يعنى من الشهداء والزهاد والعلماء والقراء وغيرهم ممن اتقى الله تعالى وعمل بطاعته ، وقال فى حق الفريقين : « وسيق » بلفظ واحد فسوق أهل النار طردهم إليها بالخزى والهوان كما يفعل بالأسارى والخارجين على السلطان إذا سيقوا إلى حبس أو قتل ، وسوق أهل الجنان سوق مراكبهم إلى دار الكرامة والرضوان ،

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/٥)

لأنه لا يذهب بهم إلا راكبين كما يفعل بمن يشرف ويكرم من الوافدين على بعض الملوك فشتان ما بين السوقين[1] .

وقيل كل جماعة أو طائفة تعاونت على الخير والطاعة فإنهم ينادون يوم القيامة ويكونون زمرة من الزمر المساقة إلى الجنة .

* * *

(١) الجامع لأحكام القرآن (٧/٥٧٢٨ ، ٥٧٢٩)

## □ خاتمة نسأل الله حسنها □

## إذا بلغت الروح المنتهى

وقد سعدنا بصحبة التقوى وأهلها وثمارها بين طيات هذا الكتاب المبارك ، فهل لك يا أخى القارىء الكريم فى أن تحقق لنفسك السعادة فى لحظة واحدة ، وهى لحظة صدق يجلس فيها العبد إلى نفسه فلا يخدعها ولا تخدعه ، يفكر فيما مضى من عمره ، ويتذكر قول القائل : ما مضى من أعمارنا وإن طالت أوقاته فقد ذهبت لذاته وبقيت تبعاته ، وكأنه لم يكن إذا جاء الموت وميقاته ، قال الله عز وجل : ﴿ **أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ، ثُمَّ جَاءَهُم مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ، مَا أَغنَى عَنْهُم مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ** ﴾ [ الشعراء : ٢٠٥ - ٢٠٧ ] تلا بعض السلف هذه الآية وبكى وقال : إذا جاء الموت لم يغن عن المرء ما كان فيه من اللذة والنعيم ، وفى هذا المعنى ما أنشده أبو العتاهية للرشيد حين بنى قصره واستدعى إليه ندماءه .

عِشْ مَا بَدَا لَكَ سَالِماً ... فِى ظل شَاهِقَةِ القُصُورِ
يُسْعَى عَلَيْكَ بِمَا اشْتَهَيْتَ ... لَدَى الرَّوَاحِ وَفِى البُكُورِ
فَـإِذَا النُّفُـوسُ تَقَعْقَـعَت ... فِى ضِيْق حَشْرَجَة الصُّدُورِ
فَهُنَـاكَ تَعْلَـمُ موقِنَـا ... مَا كُنتَ إلا فِى غُرُور[1]

فالدنيا معبرٌ لا مقر ورحلة لا مكث ، والسعيد من اتعظ بغيره وانتهز

(١) باختصار وتصرف من « لطائف المعارف » لابن رجب الحنبلى (٣١٥ ، ٣١٧) دار الجيل .

فرصة الحياة الدنيا فى التزود للآخرة قال الحسن : نعمت الدار الدنيا كانت للمؤمن ؛ وذلك لأنه عمل فيها قليلاً وأخذ منها زاده إلى الجنة ، وبئست الدار الدنيا كانت للكافر والمنافق وذلك لأنه أضاع فيها لياليه وأخذ منها زاده إلى النار . وكل نَفَس من أنفاس العمر جوهرة ثمينة تستطيع أن تشترى بها كنزاً لا يفنى أبد الآباد :

يَا مَن بدُنْيَاهُ انشَغَلَ ... وَغَرَّهُ طُولُ الأمَلِ
الموتُ يَأتِى بَغْتَةً ... وَالقبْرُ صُنْدُوقُ العَمَلِ

فهل لك يا عبد الله فى الفلاح والنجاح والفوز والنجاة فى لحظة واحدة ، لحظة صدق تتذكر ما مضى من جنايات ومخالفات فتصلح الماضى بتوبة ، وتصلح الحاضر بعمل صالح ، وتصلح المستقبل بعزيمة صادقة ونية مخلصة على الاستمرار فى طاعة الله عز وجل والتزود بالتقوى .

قال الله عز وجل : ﴿ **إنَّ الَّذينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ استَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ المَلَائِكَةُ أَنْ لَا تَخَافُوا وَلَا تَحزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالجَنَّةِ الَّتى كُنتُم توعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فى الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفى الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ نُزُلاً مِن غَفُورٍ رَحِيمٍ** ﴾ [ فصلت : ٣٠ ، ٣١ ]

وقال النبى ﷺ : « **قل آمنتُ بالله ثم استقم** »[(١)] .

فما أوجزه وأطيبه وأجمعه لخيرى الدنيا والآخرة وكيف لا وهو من كلام من أوتى جوامع الكلم ﷺ .

---

(١) رواه مسلم (٩،٨/٢) الإيمان ، وأحمد (٤١٣/٣) ، (٣٨٥/٤) وفيه زيادة قال : وما أتقى فأومأ إلى لسانه ، ورواه الترمذى (٢٤٩/٩) الزهد ، وابن ماجة (٣٩٧٢) . [ بلفظ : « قل ربى الله .. ] .

قال ابن القيم رحمه الله :

هلم إلى الدخول على الله ومجاورته فى دار السلام بلا نصب ولا تعب ولا عناء ، بل من أقرب الطرق وأسهلها ، وذلك أنك فى وقت بين وقتين ، وهو فى الحقيقة عمرك ، وهو وقتك الحاضر بين ما مضى وما يستقبل ، فالذى مضى تصلحه بالتوبة والندم والاستغفار ، وذلك شيء لا تعب عليك فيه ولا نصب ولا معاناة عمل شاق ، إنما هو عمل قلب ، وتمتنع فيما يستقبل من الذنوب ، وامتناعك ترك وراحة ليس هو عملاً بالجوارح يشق عليك معاناته ، وإنما هو عزم ونية جازمة تريح بدنك وقلبك وسرك ، فما مضى تصلحه بالتوبة ، وما يستقبل تصلحه بالامتناع والعزم والنية ، وليس للجوارح فى هذين نصب ولا تعب ، ولكن الشأن فى عمرك وهو وقتك الذى بين الوقتين ، فإن أضعته أضعت سعادتك ونجاتك ، وإن حفظته مع إصلاح الوقتين اللذين قبله وبعده بما ذكر نجوت وفزت بالراحة واللذة والنعيم[1] .

نسأل الله أن يختم لنا بخاتمة السعادة ، وأن يرزقنا الحسنى وزيادة ، وأن يجعلنا من عباده المتقين ، الذين يسعدون فى الدنيا بالطاعات ومحبة رب العالمين ، وفى الآخرة بالجنات والنظر إلى وجه الله الكريم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

* * *

---

(١) الفوائد (١٥١ ، ١٥٢) دار الدعوة .



# □ مراجع البحث □

**أ – تفاسير :**


١ – أضواء البيان ، لمحمد الأمين الشنقيطى ، المدنى

٢ – تفسير القرآن العظيم ، للحافظ ابن كثير ، دار المعرفة .

٣ – جامع البيان ، لابن جرير الطبرى ، دار المعرفة .

٤ – الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبى ، الشعب .

٥ – روح المعانى ، للألوسى ، دار التراث .

٦ – زاد المسير ، لابن الجوزى ، المكتب الإسلامى .

٧ – فتح القدير ، للشوكانى ، دار المعرفة .

٨ – فى ظلال القرآن ، لسيد قطب ، دار العلم ببنها .

٩ – الكشاف ، للزمخشرى ، الريان .

١٠ – محاسن التأويل ، للقاسمى دار الفكر .

١١ – المنار ، لمحمد رشيد رضا ، دار المعرفة .


**ب – حديث :**


١ – بلوغ المرام فى تخريج الحلال والحرام ، للألبانى ، المكتب الإسلامى .

٢ – جامع الأصول ، لابن الأثير ، دار الفكر .

٣ – سنن النسائى بشرح السيوطى وحاشية السندى ، دار الكتب العلمية .

٤ – سنن ابن ماجة بترقيم محمد فؤاد عبد الباقى ، المكتبة العلمية .

٥ – سنن الدارمى ، دار الكتب العلمية .

٦ – سلسلة الأحاديث الصحيحة للألبانى ، المكتب الإسلامى .

٧ - شرح السنة للبغوى بتحقيق شعيب الأرناؤوط ، دار بدر .
٨ - صحيح الجامع الصغير وزيادت للألبانى ، المكتب الإسلامى .
٩ - صحيح ابن ماجة ، للألبانى ، مكتب التربية العربى الدولى .
١٠ - صحيح النسائى ، للألبانى ، مكتب التربية العربى الدولى .
١١ - صحيح الترمذى ، للألبانى ، مكتب التربية العربى الدولى .
١٢ - عون المعبود شرح سنن أبى داود لشمس الحق أبادى المكتبة السلفية .
١٣ - عارضة الأحوذى شرح سنن الترمذى لابن العربى ، دار الوحى المحمدى .
١٤ - فتح البارى شرح صحيح البخارى لابن حجر ، طبعة السلفية .
١٥ - فيض القدير شرح الجامع الصغير ، دار المعرفة .
١٦ - مستدرك الحاكم وبهامشه التلخيص للذهبى ، دار المعرفة .
١٧ - مسند الإمام أحمد بفهرس الألبانى ، المكتب الإسلامى .
١٨ - موطأ مالك ، ط الحلبى .
١٩ - مسلم بشرح النووى ، المطبعة المصرية .
٢٠ - المعجم المفهرس ، لجماعة من المستشرقين ، دار الدعوة .

**رقائق ومواعظ :**

١ - استنشاق نسيم الأنس ، لابن رجب ، دار الفتح .
٢ - تفسير المعوذتين ، لابن القيم ، السلفية .
٣ - تلبيس إبليس ، لابن الجوزى ، المتنبى .
٤ - جامع العلوم والحكم ، لابن رجب ، الحلبى .
٥ - الجواب الكافى ، لابن القيم ، دار عمر بن الخطاب .
٦ - شرح حديث ( ماذئبان جائعان ) ، لابن رجب ، دار الفتح .

٧ - صيد الخاطر ، لابن الجوزى ، دار الكتب العلمية .
٨ - صيانة الإنسان ، لابن مفلح ، دار الكتب العلمية .
٩ - طريق الهجرتين ، لابن القيم ، السلفية .
١٠ - رسالة المسترشدين للمحاسبى ، بتحقيق أبو غدة ، دار السلام .
١١ - روضة المحبين ، لابن القيم ، دار الصفا .
١٢ - الرسالة التبوكية ، لابن القيم ، بتحقيق أشرف عبد المقصود ، التوعية الإسلامية .
١٣ - غالية المواعظ ، لنعمان محمود الألوسى ، دار المعرفة .
١٤ - الفوائد ، لابن القيم ، دار الدعوة .
١٥ - لطائف المعارف ، لابن رجب الحنبلى ، دار الجيل .
١٦ - منهاج العابدين ، للغزالى ، مكتبة الجندى .
١٧ - نور الاقتباس ، لابن رجب ، المدنى .
١٨ - المدهش ، لابن الجوزى ، دار الكتب العلمية .
١٩ - المصباح المنير ، للرافعى ، دار المعارف .

* * *

## □ فهرس الموضوعات □